وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــة غـــــرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الشخصية الدعوية ودورها في تأسيس دول المغرب الإسلامي

(280- 524هـ/ 893- 1130م)

مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب (ة):

سايح مسعودة

سيراج إيمان

إشراف الأستاذ:

د/ بن علي طاهر

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ/ عقون ياسين	جامعة غرداية	رئيسا
د/ بن علي طاهر	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
د/ جبريط موسى	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ/2018-2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليكما يا سكني، يا ضمير الإنسانية في حياتي، حيث الرؤى حالمة، والنفس ساكنة، تهدهدها منكما روح معانيها أسمى من كلّ الألفاظ، وأرقى من كلّ الكلمات، تفيض بالرحمة، وتنبض بالسكينة، وتتنزّل كالغيث تسكب في كأسي طمأنينة وسعادة، فتملأ حياتي بالتفاؤل:

أمّي وأبي

وإليك يا مؤنستي، يا من لولاها لشقيت في وحدة الأنوثة، فبك امتلأت عيني بآفاق ممتدّة جميلة بأزهى الورود، وبك اكتست حياتي ألوانا فزحية تداعب آمالي، وتراقص أحلامي:

أختي سميّة

وإليك يا وردة في دوحة الصدق، وزهرة في جنّة الوفاء، تفوح بالإخلاص، وتضوع بالمحبّة:

صديقتي صبرين السايح

وإليك يا من رافقتني في درب البحث، وكنت لي خير المعينة، وتجشّمت معي مشقّة التنقيب، والتجميع، والتحرير، والتصحيح، فتخفّفت بك ثقل المسؤولية، وانجلت بك مظاهر النصب:

زميلتي مسعودة السايح.

وإلى كلّ من سَلِمَ قلبه، وصفا صدره، ونَقِيَ ضميره بالمودّة الخالصة لعائلة مصطفى سراج.

إليكم جميعا بخالص الودّ أبثّكم إهدائي تحيّة وعرفانا..

إيمان

الإهـداء

أهدي ثمرة هذا الجهد:

إلى أعزّ شخصين في هذه الدنيا، **الوالدين الكريمين**.

إلى **أشقائي وشقيقاتي**

إلى أحبائي وخاصّة **خالي بوخطة عمر** الذي أجده وقت الطلب حاضرا، و صديقتي **حياة بن حديد** التي كانت تشجعني دائما على المضيّ قدما في مواصلة مشواري الدراسي، **وزينب بوتاروك** التي كانت نعم المثال للوفاء والصداقة.

إلى أستاذتي الكرشة مسعودة التي توفاه الله من أيام قليلة، ولم يكتب لها أن تشهد على تخرجي، فرحمها الله رحمة واسعة.

مسعودة

واجب الحمد والشكر

الحمد لله ذي المنّة:

لك الحمد يا ربّ على ما أوليت من النعم الظاهرة والباطنة، وعلى ما رزقت من التوفيق في هذا العمل، وفي غيره. لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بينهما.

ولمن دونه الشكر :

الوالدين الكريمين:

على ما أولونا من التربية صغيرين، ومن العناية طالبتين، وهيّأوا من الأسباب لندرك المنى، ونحقّق الأماني.

الدكتور طاهر بن علي:

على إشرافه على تحرير هذه البحث، وبذله كلّ ما وسعه من نصائح وتوجيهات، وتوفيره بعض الوثائق، ورعايته للبحث منذ أن بزغ فكرة إلى أن استوى مذكّرة كاملة. فكان لنا نعم الموجه والسّند

فبارك الله في علمه وحفظه من كلّ سوء

كلّ أساتذة قسم التاريخ:

الذين كان لهم الفضل في تحصيلنا لمعارف التاريخ في كلّ مراحله وحقبه.

كلّ الأساتذة والمعلّمين:

الذين كان لنا الشرف في التتلمذ على أيديهم.

اللّجنة الموقّرة:

التي تولّت مناقشة مذكّرتنا، وبتوجيهاتها يستقيم بحثنا منهجيا وأكاديميا .

كلّ من ساعدنا:

من قريب أو بعيد، بالكثير أو القليل، ونخصّ بالذكر:

الأستاذة عائشة القروي.

الزميل صالح مروبني.

فلكلّ واحد من هؤلاء جميعا يد طالت أو قصرت نسأل الله أن يجزيه عنّا خير

قائمة المختصرات:

الرمز	معنى الرمز
/	للفصل بين التاريخ الميلادي والهجري
ت	توفي
تح	تحقيق
تع	تعريب
تر	ترجمة
تص	تصحيح
مج	مجلد
د، ط	دون طبعة
د، م، ط	دون مكان طبع
د، ت، ط	دون تاريخ طبع
د، ت	دون تحقيق (مصدر) دون تاريخ (مذكرة)
د، د، ن	دون دار نشر
ص	صفحة
ط	طبعة
د، م، ص	دون مكان صدور
د، ج، إ	دون جهة إصدار
م	ميلادي
هـ	هجري
ص ص	صفحات متتابعة

...	استمرارية الكلام
ق	قرن
~	استمرارية التهميش في الصفحة الموالية
الو، م، أ	الولايات المتحدة الامريكية
*	عند التقاء التهميش مع منطقة، أو شخصية أو حدث، مراد التعريف به أو شرحه، أو إضافة.

المقدمـــــة

إنّه وممّا لا شكّ فيه أنّ صناعة الدول في الفترة الوسيطة، لو رجعنا وتعمّقنا قليلا في مرتكزاتها البنوية نجدها في أغلب الأحيان قائمة على فكرة، مهيمنة على العصبية القبلية، ومتجاوزة للاعتبارات العرقية والجغرافية، وهذا كان دأب كلّ الذين أسّسوا دولا بعد ذلك.

إذ قامت فيهم دولا على أفكار تبنّتها المجموعة السكانية الرابضة فيه، ولم تكن هذه الأفكار لتنتصر بتكوين دولة لو لم تحملها شخصيات معينة، فليس كل النّاس ينجح بفكرته، والتاريخ الأموي والعباسي يمنحنا كثيرا من النّماذج التي تقوم شواهد على ذلك، إذ قامت حركات ودعوات ولكن كان مصيرها الفشل والخذلان.

وأمّا نجاح هذه الأفكار في بلاد المغرب، فيرجع ذلك إلى كفاءات امتلكتها دعاتها، ومقومات حاز عليها رجالاتها، وهي التيّ مكّنتهم من تبوء مكانة القيادة واقتدار التأسيس، وبهم عرفت الدول التي أقاموها.

ومن هذا المنطلق تكوّنت فكرة الموضوع الذي ارتأينا أن يكون دراسة حول هذه الشخصيات ومعرفة دورها في تأسيس دول، وبذلك جاءت دراستي موسومة بعنوان:

الشخصية الدعوية ودورها في تأسيس دول المغرب الإسلامي (280– 524هـ/ 893–1130م)

وعليه فإنّ هذه المذكرة جاءت لتغطي الجوانب المتعلقة بشخصية الداعي بشكل علمي ومنهجي. ولكي يكتمل موضوع بحثنا وجب علينا التطرق إلى تعريف الدعوة والداعي على العموم بدون التعمّق في التفاصيل لكي لا نحمّل المقدمة مالا تحتمله منهجية البحث.

فالدعوة هي عملية إحياء لنظام، لتنتقل الأمّة بها من محيط إلى محيط.[1] أمّا الداعية فهو العامل الفذّ الذي ينفرد بالتأثير والتوجيه في عملية الدعوة.[2]

[1]– رؤوف شلبي: **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغايتها**، دار القلم، ط3، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ص 32.

[2]– يوسف القرضاوي: **ثقافة الداعية**، مكتبة وهبة، ط10، القاهرة، 1416هـ/ 1996م، ص4.

بذلك ركزنا دراستنا على شخصية الدعاة الثلاث الذين برزوا في الغرب الإسلامي.

حدود الموضوع:

تتميّز كل دراسة تاريخية وفق حدودها الثلاثة: الموضوع، الزمان، والمكان:

فأمّا الموضوع فينحصر في نماذج مختارة من الدعاة الذي أسّسوا دولا ببلاد المغرب، وهم: **أبو عبد الله الشيعي (ت 298هـ/ 911م)، وعبد الله بن ياسين (451هـ/ 1059م)، ومحمّد ابن تومرت (524هـ/ 1130م)** ومحلّ الدراسة في إبراز الشخصية الدعوية في كلّ نموذج.

وأمّا المكان فيستغرق بلاد المغرب الإسلامي بأقاليمه الثلاثة، الأدنى، والأوسط، والأقصى، ولكلّ إقليم مكانته في دراستنا، مع الاختلاف الذي فرضته طبيعة حركة هؤلاء الدعاة.

وأمّا الزمان فنجعله في حدود بين ظهور أوّل هؤلاء الدعاة في بلاد المغرب، وهو أبو عبد الله الشيعي ووفاة آخرهم، وهو محمّد بن تومرت. وبهذا يكون إطار دراستنا من سنة 298هـ/ 893م إلى سنة 524هـ/ 1130م.

❖ **دوافع اختيار الموضوع:**

لا يبرز موضوع إلى الدراسة ويبلغ إلى التحرير إلّا بفعل دوافع وأسباب تجعله في دائرة البحث والاهتمام. وهذه الدوافع والأسباب تتفرّع إلى ما هو ذاتي، وما هو موضوعي معرفي.

فأمّا الذاتي منها فنوجزه فيما يلي:

- اتّفاق توجّهاتنا في البحث مع مقترح الأستاذ المشرف، فكنّا نبسط الحديث عن شخصية عبد الله بن ياسين، وكان يؤكّد على الشخصية الدعوية المغاربية بنماذجها، فاتّسق الموضوع.
- ميولنا في الدراسة التاريخية إلى معرفة السيّر والتراجم، لما لها تأثير كبير على صناعة التاريخ، والشخصيات المختارة من أكبر التراجم في هذا الجانب.

أمّا الموضوعي منها فنحدّده فيما يلي:

- تعميق الدراسات حول الشخصيات المغاربية التي صنعت تاريخ بلاد المغرب من أجل التأكيد على خصوصية المنطقة في كفاءاتها ونبوغها.
- حثّ الدراسة على البحث في شخصية عبد الله بن ياسين التي لم تنل حظّها من الدراسة العلمية، حيث كتبت حولها نصوص هي من الحديث العام، وليست من الدراسات الأكاديمية الجادّة

❖ الإشكالية

لمّا كان موضوع بحثنا في دراسة الشخصية الدعوية والتفصيل في ترجمتها ترجمة تاريخية، ومعرفة خصائصها التي من خلالها قامت بحركتها التاريخية، لزمت عندنا إشكالية واضحة يفرضها الموضوع، وكأنّ العنوان يحمل إشكاليته، لذلك نحدّد الإشكالية في التالي:

إذا اعتبرنا أنّ الشخصية هي المرتكز والمبدأ الأول في صناعة القصة وترابطها وانسجامها.

فما مدى مساهمة شخصية الدعاة الثلاث في نسج وتلاحم الخيوط الأولى في بناء الدول؟

- وتتفرّع من هذه الإشكالية الأمّ إشكاليات جزئية، هي كالآتي:
- من هم الدعاة الذين كوّنوا دولا في المغرب الإسلامي؟
- ما هي مؤهّلاتهم العلمية ؟
- فيما تمثّلت شخصيتهم الدعوية؟
- كيف كان استقبال المجتمعات لحركة الدعاة؟ وما مدى تقبّلهم لذلك؟
- ما هي فكرتهم في تكوين الدول، وكيف حوّلوها إلى حركة تاريخة؟
- كيف استطاعوا أن يحوزوا القيادة في تكوين هذه الدول؟

❖ خطة البحث:

وللإجابة على هذه الإشكالية والتساؤلات المطروحة أعلاه اعتمدنا الخطة التالية:

قسّم الموضوع إلى ثلاث فصول على حسب الشخصيات الثلاث، وأنهيناه بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات لما طرح في المتن.

الفصل الأوّل: كان بعنوان **صاحب البذر أبو عبد الله الشيعي**. وقد قسّمناه إلى ثلاثة مباحث:

ـ **المبحث الأول**: تناولنا فيه التعريف بأبي عبد الله الشيعي وبداياته. وذلك بذكر نسبه وأهمّ الألقاب التي عرف بها، ومرحلة تكوينه. وقد عالجنا التساؤل حول أهمّية فترة التكوين في حياة أبي عبد الله عند ابن حوشب.

ـ **المبحث الثاني**: تناولنا فيه شخصية أبي عبد الله الشيعي الدعوية حيث وصفناه بشخصية الرجل سياسي. وقد اتّضح ذلك من خلال أسلوبه وكيفية استدراجه لقبيلة كتامة. كما حاز على شخصية رجل القيادة، حيث أصبحت الأمور تدور عليه، وتدار به.

ـ **المبحث الثالث**: تناولنا فيه فيه الأساس العملي عند الشيعي، فكان بداية بدخول الشيعي للمغرب واختياره واستضافته من قبل ايكجان، ثمّ هروبه من بني الأغلب وحمايته من طرف بني غشمان واستقراره فيها، ثمّ صراعه مع الأغالبة والذي يمثّل العقبة الأساسية في تاريخه، ثمّ التمهيد للدولة الفاطمية وقيامها بتحرير عبيد الله بعدما اعتقل من طرف أمير سجلماسة وتوليه العرش وقتله للشيعي مع اختلاف روايات.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان **الفقيه عبد الله بن ياسين**. وقد قسّمناه أيضا إلى ثلاثة مباحث:

ـ **المبحث الأوّل**: تناولنا فيه التعريف بعبد الله بن ياسين، فذكرنا بداياته وكيفية امتثاله للدعوة، وكيف كان ليحي ابن إبراهيم الجدالي دور فيها، وما غايته وراء ذلك.

– **المبحث الثاني**: فتناولنا فيه شخصية بن ياسين الدعوية، وقد وصفناه برجل دين، وذلك لطبيعة حركته الدينية، ومذهبه، ومن خلال ما عرف عنه من تعبّد وزهد. كما أضفنا إليه صفة رجل الإصلاح والتغيير بتطبيق نظرية ميلاد مجتمع لمالك بن نبي على تفسير حركته.

– **المبحث الثالث**: تناولنا فيه الأساس العملي عند بن ياسين، إذ بدأنا بدراسة عامّة للرباط، وخصّصنا دراسة خاصّة لرباط بن ياسين، ثمّ توحيده للقبائل وتحريره للأخرى، وختمنا هذا المبحث بصراعه مع برغواطة الذي يعتبر الأبرز في الجانب الحربي عند بن ياسين والذي أدّى إلى استشهاده.

أمّا الفصل الثالث: فكان بعنوان **المهدي ابن تومرت**. وقد قسّمناه أيضا إلى أربعة مباحث.

– **المبحث الأوّل:** تناولنا فيه التعريف بابن تومرت، فتحدّثنا عن مولده، وحاولنا علاج إشكالية النسب التي تعتبر من بين القضايا التي تثير التساؤل عند أغلب المؤرخين، ثمّ مرحلة التّفقه والدراسة وهي الجذر الأساسي في حركة ابن تومرت، ومن خلالها ركّزنا على قضية التقائه بالغزالي وتتلمذه على يده، ذلك لأنّها تعتبر محلّ تساؤل عند أغلب المؤرخين.

– **المبحث الثاني:** تناولنا فيه شخصية ابن تومرت الدعوية، وقد وصفناه برجل دين وإصلاح باعتبار حركته دينية إصلاحية، وأنّه ذهب في تديّنه وتعبّده إلى درجة التصوّف، ورجل علم، حيث حاولنا من خلاله إيضاح فكره ومذهبه الذي اعتبر تلفيقيا بأخذه عن كثير من المذاهب والعلوم، ورجل سياسة وذلك بإبراز قدرته على زعزعة حكم في أوج قوّته.

– **المبحث الثالث:** فجاء فيه الأساس العملي عند ابن تومرت، فكانت له مرحلة ما قبل الدعوة وذلك قبل الإعلان عنها، فاتّخذ فيه أسلوب الوعظ، ثمّ مرحلة إعلانه الدعوة، والتّي اعتبرناها المرحلة الأساسية في حركة ابن تومرت، وبها قد أعطى لنفسه أحقيّة الحكم والسلطة.

– **المبحث الرابع:** فهو عبارة عن مقارنة بين الشخصيات: وفيها الملمح دون البسط، وذلك من أجل إيضاح أهمّ نقاط الاتّفاق والاختلاف بينها.

الخاتمة: وهي عبارة عن استنتاجات لما ذكر.

❖ أهمّية الموضوع:

الموضوع هو محاولة تحليل متعمّق في تناول شخصيات من تاريخ بلاد المغرب، ووضعها في نصاب الدراسة، وتحرير نصّ جديد يضاف إلى الدراسة المغاربية عامّة، والدراسة الجزائرية خاصّة في تناول هذه الشخصيات في جزئياتها بالتحليل والتفسير، وتبتعد عن الرؤى السطحية التي تتناول التاريخ كأحداث سياسية وعسكرية دون تفصيل في الأحداث الاجتماعية والثقافية، والفكرية وتاريخ الذهنيات خاصة.

فتاريخ الدول المذكورة في الدراسة هو تاريخ أفكارها قبل أن يكون تاريخ أحداثها السياسية، وتاريخ أفكارها هو تاريخ شخصياتها، وفي ذلك يقوم تاريخ الذهنيات،كما يؤكّد د/ طاهر بن علي في دروسه، ليرسم لنا الإرادة التي غيّرت مجرى التاريخ بتكوين دول، وكيف تبلورت فكرة عند أصحابها.

❖ **أهداف الموضوع:**

- إثراء مكتبة الجامعة الجزائرية بدراسات أكاديمية تحمل رؤى جزائرية في تناول القضايا التاريخية لفترة التاريخ الإسلامي.
- التأكيد على دراسة الشخصيات والذهنيات التي كان لها دور في حركة التاريخ المغاربي، كما كان لها الفضل في إظهار التميّز المغاربي في كلّ الميادين.
- إبراز دور الفكرة في تكوين الدول من خلال نماذج تاريخية، وتحصيل المعرفة في ذلك من خلال النظريات التاريخية المغاربية، ونقصد بها ابن خلدون وابن نبي.

❖ **الدراسات السابقة:**

بالنسبة للدراسات السابقة، نذكر على حسب ترتيب الشخصيات:

- **كتاب أبو عبد الله الشيعي للخربوطلي،** إذ أعطاه حقه بميزان دقيق، فساعدنا من حيث أسلوبه السهل في بسط المعلومات التي تخصّ الشيعي، وإبراز شخصيته.
- **مذكرة جهود الداعي وميراث الإمام لمروة زروخي،** اقتصرت فقط على ابراز جهود الداعي في الدعوة دون التعمق في شخصيته الدعوية.
- **ندوة بن ياسين بتنسيق إبراهيم حركات،** إذ جمعت بين عدّة مؤرخين، فكانت مزيجا من الآراء والتحليل، استفدنا منها من ناحية تحليل شخصية بن ياسين، وتفسير بعض مراحل حياته بأسلوب تاريخي أكاديمي.
- **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المغربي السوسي حياته وآراؤه لعبد المجيد النّجار،** وهو عبارة عن أطروحة شملت كلّ حياة ابن تومرت، خصّص جانبا

لشخصيته، وعقيدته، وثورته، فأضحت بذلك دراسة شاملة، ساعدتنا تبسيط فهم بعض المنعطفات في حياة ابن تومرت وشخصيته.

- **أطروحة الإمامة عند ابن تومرت لعلي الهادي الإدريسي**، وهي عبارة عن دراسة مقارنة بين إمامة ابن تومرت، والإمامية الإثني عشرية، استفدنا منها في مرحلة التفقه عند ابن تومرت، وذلك من خلال تنظيمه للشيوخ الذي أخذ عنهم.

❖ **المنهج المتبع:**

للإجابة على الإشكالية المطروحة أعلاه، ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي لاعتبار دراستنا تاريخية القائمة على جمع المادة التي تخدم الموضوع، وترتيبها ترتيبا يتماشى مع مفصليات البحث، وبما أنّ موضوعنا قائم على شخصيات، كان لزاما علينا أن نستعين بالمنهج الوصفي لمعرفة الدعاة والمناطق والأحداث، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي في تحليل شخصياتهم ومراحل حياتهم، وتضارب الروايات وبعض الاستنتاجات، وعمدنا على المنهج المقارن لنبرز بعض الاتفاقات والاختلافات بين النماذج المختارة.

❖ **أهم المصادر والمراجع:**

ولأجل تغطية موضوع البحث لابد لنا من الاستناد على مجموعة من المصادر والمراجع، التي تنوعت ما بين التاريخية، وجغرافية وكتب لتراجم، ولمّا كانت دراستنا قد شملت بدايات ثلاث دول، فقد اعتمدنا على عدد وافر من المصادر والمراجع، نذكر منها الأقرب للموضوع والأكثر إفادة لنا:

أولا/ المصادر:

كثرت المؤلفات حول الدولة الفاطمية الشيعية، ولكن الأكثر إفادة لنا في شخصية الشيعي نذكر منها الكتاب الأبرز، والذي يعتبر من أهم المصادر الفاطميين في المغرب هو **كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان**، يرجع إليه أغلب المؤرخين، فقد استفدنا منه حول توسع الدعوة في المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي، وحتى تطورها إلى دولة. فقد كان لنا المرتكز الأول في

مراحل الشيعي، بالإضافة إلى **كتاب اتعاظ الحنفاء للمقريزي**، ولقد اشتمل هذا المصدر على دراسة تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب والمشرق، وخصّص جزءا منه في بداية الدولة في المغرب، فكان لنا استفادة منه من حيث الترجمة لشخصية الشيعي والبعض من جوانبه.

ولوجود اقتراب زمني بين دولة المرابطين والموحدين، فكان لابد من تواجد مصادر تجمع بين هذه الدولتين من أهمها:

كتاب الأنيس المطرب لابن أبي الزرع، هذا الكتاب يعتبر من أهم المصادر التاريخية الهامّة في دراسة المغرب الأقصى، منذ 145هـ إلى 726هـ الموافق ل 761- 1324م ولقد استفدنا منه في بداية الدعوة في كلتا من الدولتين المرابطية والموحدية، وعلى ما ورد فيه من ترجمة وذكر مراحل من حياة الداعيتان.

كتاب الحلل الموشية للمؤلف الأندلسي المجهول، فرغم صغر حجمه، إلّا أنّه يعد من بين المصادر المهمّة في دراسة تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ولقد اعتمدنا عليه لتنوع بين المصادر في ذكر روايات بدايات الدول المعتمدة على الداعيتان.

من بين أهم المصادر في الرواية عن حياة ابن تومرت، كتاب اعتمدنا عليه واستفدنا منه هو:

أخبار المهدي ابن تومرت للبيذق لاعتباره المرافق لابن تومرت وتلميذه، فقد عاصر بدايات بناء الدولة، فاعتبرناه من أهمّ المصادر التي نرجع إليها في تأريخنا لهذه الحقبة.

وكتاب لا يقلّ أهمية عن الذي سبقه وهو **نظم الجمّان لابن القطان**، إذ يعتبر من أهم مؤرخي دولة الموحدين، ولاسيما أن معظم لمؤرخي قد نقلوا عنه كابن عذاري والمراكشي، وصاحب الحلل وابن الخطيب، اعتمدنا عليه في مراحل الدعوة عند ابن تومرت وتنظيماته.

كما لا نغفل عن مصدر الذي لا يستغني عنه أي باحث، لتناول مؤلفه المشرق والمغرب وأجناس الشعوب من عجم وعرب وبربر، **كتاب العبر لابن خلدون**، فقد جمع بين الدول الثلاث الذي كان في دعاتهم مجال دراستنا.

ثانيا/ المراجع:

من بين المراجع التي ساهمت في مساعدتنا في دراسة شخصيات الدعاة، وبعض المراحل التي مرّوا بها في حياتهم نذكر منها:

كتاب **الملحمة الإيكجانية للموسى لقبال**، وكتاب **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي لفاطمة بلهوراي**، وكتاب **دراسات إسماعيلية لبوبة مجاني**، فقد كان لهم الفضل في توضيح بعض جوانب من شخصية الشيعي، ودراسة حركته وتخطيطه إلى إقامة دولة.

أمّا بالنسبة لابن ياسين فقد كان من أهم المراجع التي ساعدت في بسط مفهوم حركة ابن ياسين ومحاولة التعمّق فيها:

كتاب **قيام دولة المرابطين لحسن محمود**، والذي خصّص بابا في كتابه للداعية بن ياسين ومراحل دعوته، وكتاب **دور المرابطين في نشر الإسلام لعصمت دندش** والذي خصّص له أيضا فصلا من ظهوره إلى استشهاده. وكتاب **الإمام عبد الله بن ياسين الفقيه المفكر والداعية لإبراهيم حسن الجمل**، ويرجع الفضل إلى الأستاذ المشرف في حصولنا عليه، فقد ساهم هذا الكتاب في ملأ بعض الفراغات في حياة بن ياسين بأسلوب استنتاجي. وكتاب **تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة لإبراهيم القادري بوتشيش**، ساعدنا في معرفة الدور المخفي لإبراهيم الجدالي المساهم في ظهور بن ياسين، من خلال قراءة جديدة للمعطيات من طرف صاحب الكتاب.

أمّا ابن تومرت فهناك كتابين قد خصّصا له دون سواه، ويشملا كل مراحل حياته مع تضارب الآراء حوله، وهو ما لنفس الكاتب عبد المجيد النجار كتاب **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب** والذي اعتبرناه دراسة سابقة، وكتاب **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري**، فكان عبارة عن شرح مبسط لإصلاحاته وتنظيماته.

كتاب الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين لعصمت دندش، استفدنا منه في بداية حركة المهدي ابن تومرت، وزعزعته لحكم دولة في أوجّ قوتها آنذاك

كتاب **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي لعبد الكريم غلاب**، وهو بالفعل كان عبارة عن قراءة جديدة اشتمل على ثلاث أجزاء، وقد اعتمدنا على ج1، و2، في تحليل كلاّ من الشيعي وابن تومرت.

كتاب **الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في الدولتي المرابطين والموحدين لفتحي زغروت**، كان عبارة عن دراسة تطور الحركتين الياسينية والتومرتية، كتاب هام جدا، ساعدنا من خلال إظهار المقارنة بين ابن ياسين وابن تومرت.

ثالثا/ المقالات:

اعتمدنا على كثير من المقالات والمجالات باعتبار الدراسة تكون فيهم أعمق وانضج، نذكر منهم:

- **الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت لمحمد زنبير**، إذ قبل دراسة حركة ابن تومرت، قد أعطى دراسة لكل من حركة الشيعي وابن ياسين، وكانت دراسة في غاية الأهمية من حيث إظهار نوعية الحركة لكل من الدعاة.
- **الشيعة في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس هجري لأحمد الحمروني**، كانت عبارة عن دراسة عامة للشيعة مند ظهورها، ثم خصّصت دراسة خاصة للشيعة في المغرب وبذلك أبرزت دور الشيعي في نشر التشيع.
- **رباط عبد الله بن ياسين الإستراتيجية وتجديد النسق لإبراهيم القادري بوتشيش.**
- **دور الأمير يحي بن إبراهيم والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي في تأسيس دولة المرابطين لخالد حمون.**
- **دور الأمير يحي بن إبراهيم والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي في تأسيس دولة المرابطين لعبد الباسط المستعين**
- **مبادئ وتعاليم حركة محمد بن تومرت الإصلاحية في بلاد المغرب (485-524هـ) لنصر الدين النبي سليمان.**

- **محمد ابن تومرت ودوره في إغناء الحياة العلمية في بلاد المغرب لشفاء محمد حسن محمود.**

❖ **صعوبات البحث:**

- فرضت الفترة التي نمرّ بها علينا نوعا من الاحتياط والحذر، هذا الذي شكّل لنا عائقا من ناحية التواصل المباشر مع الأستاذ المشرف، وذلك لأنّ مواقع التواصل الاجتماعي لم تكن مساعدة في إيصال مفاهيمنا وإشكالاتنا للأستاذ بالقدر الكافي.
- لم تسعفنا المصادر والمراجع في أغلبها بمادّة حول موضوعنا، وذلك لاهتمامها بالجانب السياسي والحربي أكثر من الجوانب الأخرى، كالدينية والثقافية، وخاصّة ما يتعلّق شخصية الدعاة.
- في غضون البحث وأتون الدراسة تبيّن لنا أنّ الموضوع واسع جدّا، وأنّ دراسة ثلاثة شخصيات يستلزم زمنا أكبر من الممنوح لنا، وأنّ شخصية واحدة منها تستدعي وقتا طويلا.
- قلّة المصادر التي تتحدّث عن بدايات دولة المرابطين، وهذا أثّر سلبا على معرفتنا بتفاصيل ابن ياسين. ورغم وجود كتابات معاصرة إلّا أنّها لم تحمل نصوصا تاريخية بقدر ما حملت من نصوص تبجيلية ووعظية وأدبية، فاستعسر علينا فكّ التاريخ منها.
- لم يكن لنا نصيب من الدراسات السابقة الموجودة في مكتبة الجامعة، وذلك بسبب غلق الجامعة لظروف التي نمرّ بها.

الفصل الأوّل

صاحب البَذرِ أبي عبد الله الشيعي (298هـ/ 911م)

المبحث الأوّل: التعريف بأبي عبد الله الشيعي

المبحث الثاني: شخصيته الدعوية

المبحث الثالث: الأساس العملي عند الشيعي

المبحث الأوّل: التعريف بأبي عبد الله الشيعي

شهد المغرب الإسلامي في القرون الوسطى توافدا كثيرا من الذين حملوا رايات التغيير لتحقيق طموحاتهم بعيدا عن السلطة المركزية في المشرق، وكانت الشيعة الإسماعيلية إحدى الطوائف التي وفدت على بلاد المغرب لتحقق طموحاتها الدعوية والسياسية. وقد استطاعت هذه الدعوة بما أتيح لها من خبرة لبيئات مختلفة أن تفتح لنفسها السّبل في هذه الأرض الجديدة، بعدما كانت قد مهّدت طريقها بالداعيين، الحارثين اللّذين استطاعا بما أتيح لهما من جهود بثّ بعض من تعاليم الشيعة، وأن يهّيئا الأرض لباذرها الذي دخلها مع إحدى القبائل البربرية، واستغلّها لما هو مقبل عليه.

فمن هو صاحب البذر[1]؟ وكيف كانت شخصيته الدعوية؟ وهل سيحقق ما كانت ترمي إليه الشيعة الإسماعيلية في بلوغ مبتغاها؟

أوّلا: بداياته

اختلف المؤرّخون في عدّة جوانب من تاريخ حياة المؤسس الدّعوي للدّولة العبيدية أبي عبد الله الشيعي، وبدأ الاختلاف من اسمه، إذ يذكر البعض أنّه "الحُسين،"[2]والبعض الآخر يذهب إلى

---

[1]- مهّد الطريق قبل ظهور الشيعي حارثان، المعروفين بالسفياني والحلواني، بُعثا من طرف أبا عبد الله جعفر بن محمّد، وقد قيل لهما:" اذهبا للمغرب فقد تأتيان أرضا بورا، فأحرثاه، ثمّ كرّباها، وذلّلاها إلى يأتيها صاحب البذر." بذلك أخذ الشيعي صفة صاحب البذر، انظر: القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986م، ص 29.

[2]- نفسه، ص30، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، (د،ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ج2، ص 192، أبو الحسن بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تح: محمّد يوسف الرّقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/1987م، مج 6، ص 450، عبد الرحمان بن خلدون: **ديوان المبتدأ و الخبر بتاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: سهيل زكار، خليل شحاذة، دار الفكر للطباعة، (د،ط)، بيروت، 1421هـ/2000م، ج4، ص41، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي: **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: جمال الدين الشيال، مطابع الأهرام التجارية، ط2، القاهرة، 1416هـ/1996م، ج1، ص 51، أبي عبد الله الشيخ محمّد بن أبي

أنّه "الحَسن"[1] وأبقوا على نسبه، هو ابن أحمد بن محمّد بن زكريا. وأمّا عن موطنه، فورد ذكره بالكوفي، أي من الكوفة بالتحديد من رام هرمز.*[2]وقيل عنه أيضا الصنعاني نسبة لصنعاء.[3]

وقد تولى أبو عبد الله الشيعي عدّة وظائف قبل مسيرة الدعوة. منها أنّه كان محتسبا بسوق الغزل في البصرة، وقيل إنّما المحتسب أخوه أبو العباس محمّد.[4] وبالمعلم، لأنّه كان لقنا عارفا بأساليب التعليم والدعوة لمذهب الإمامية في بدء حياته.[5]

كما عرفت له عدّة ألقاب كالشيعي عند أغلب المؤرّخين،[6] وصاحب البذر،[7]وأيضا بالسيّد والمشرقي،[1] والإيكجاني.[2]

القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي الدينار: **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، (د، ت)، مطبعة الدولة التونسية، ط1، حاضرة المحمية، 1286م، ص51.

[1]- تقي الدين المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (د، ت)، دار صادر، طبعة جديدة، بيروت،(د، ت،ط)، ج2، ص 10، ابن العباس أحمد بن سعيد الدّرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، (د،ط)، (د،م،ط)، البليدة، 1394هـ/1974، ص 92.

[2]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص32، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص10، الدرجيني: المصدر السابق، ص92، ونرجح في ذلك القاضي النعمان لأنه يعتبر المصدر الأقرب للحدث.

* **رام هرمز**: هي من كور الأهواز بالقرب من واصل هي خزستان، ومن سوق الأهواز إلى رام هرمز عشرين فرسخا، انظر: محمّد ابن عبد المنعم الحميري: **الرّوض المعطار في أخبار الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص266، محمّد بن حوقل البغدادي الموصلّي، أبو القاسم: **صورة الأرض**، (د، ت)، دار صادر أفست ليدن، (د، ط)، بيروت، 1938م، ج2، ص 252.

[3]- المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص10، ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 192، القيرواني: المصدر السابق، ص51، ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب**، تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج1،ص 124.

[4]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 51. وانظر كذلك لأحمد بن خالد الناصري السلاوي: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب**، (د، د،ط)، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ج1، ص 79.

[5]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص31.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 30، المقريزي: المواعظ والاعتبار ،ج2، ص10. ابن أبي الدينار القيرواني: المصدر السابق، ص51. الحميري: المصدر السابق، ص 306، صلاح الدين بن ابيك الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000، ص203.

[7]- الدّرجيني: المصدر السابق، ص92. القاضي النعمان: المصدر السابق، ص29.

ثانيا: مرحلة تكوينه

أعطت الحركة الإسماعيلية[3] اهتماما كبيرا للداعي، وذلك لما ترى فيه من أنّه الإنسان المؤهّل روحيا وعقليا وجسديا للاضطلاع بمهمّة التبليغ،[4]وتمثيل الدعوة والرسالة بين الخلق والشعوب. فأعظم مافي الحركة الإسماعيلية تنظيمها وأساليب دعاتها العجيبة، التي إن دلّت على شيء. فإنّما تدلّ على إدراك عميق لنفسيات الشعوب، وعلى فهم دقيق لمصادر التذمّر عندهم، فقد كانوا يعتنون باختيار دعاتهم كلّ الاعتناء، ويزودونهم بإرشادات تتّفق وروح البيئة التي يدعون إليها.[5]

ولهذا تعدّ مرحلة التكوين. مرحلة الانطلاقة والتخطيط للدعوة في المغرب، وبذلك كان للداعي أبي عبد الله الشيعي فترة تدريبية. إذ لمّا تمكّنت الدعوة باليمن وظهر أمرها. أرسل الإمام الحسين[6] أبا عبد الله الشيعي إلى أبي القاسم ابن حوشب[7]داعي اليمن، وذلك لما رأى فيه من علم

---

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 32،52.

[2]- الدّرجيني: المصدر السابق، ص 92.

[3]- تفرعت الإسماعيلية عن حركة التشيع الإمامي مند سنة 148هـ/765م، تنسب لميمون بن ديصان المعروف بالقداح وكان مولى لجعفر الصادق، وسميت أيضا بالباطنية. من أهمّ معتقداتها: الإمامة، التأويل وعلم الباطن، التنزيه المطلق أو التوحيد انظر: أبي المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد البغدادي: **الفرق بين الفرق و بيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها**، تح: محمّد عثمان الخنشي، مكتبة ابن سينا، (د،ط)، القاهرة، (د، ت، ط)، ص247، سعد رستم: **الفرق و المذاهب الإسلامية مند البدايات النشأة، التاريخ، العقيدة، التوزع الجغرافي**، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق، 2005م، وللمزيد أيضا أنظر لجزء الإسماعيلية بين الافتراءات الوهمية و الحقائق التاريخية من كتاب المؤلف محمود اسماعيل: **الفرق الشيعية بين التفكير السياسي والنفي الديني**، سينا للنشر، ط1، القاهرة، 1995م، ص ص 54، 76.

[4]- أحمد العيساوي: **الدعوة والدعاة**، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012، ص57.

[5]- محمّد الحسن الأعظمي: **عبقرية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي**، دار مكتبة الحياة، (د،ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ص17.

[6]- **الإمام الحسين:** هو الإمام العاشر من جدّه علي ابن أبي طالب هو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، إقامته و نشاطه كان في سلمية، من ألقابه التقي والأهوازي، في عهده تمّ إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب (ت198هـ/813م)، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 26، للمزيد انظر لـ: عارف تامر: **تاريخ الإسماعيلية الدعوة و العقيدة**، دار رياض الريس، ط1، لندن، 1991م، ج1، ص 132،133،.

[7]- **ابن حوشب:** هو الحسن بن فرج بن زادان الكوفي، عرف بمنصور اليمن، صاحب دعوة اليمن، هو من ذرية مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، انظر: الداعي إدريس عماد الدين: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تح: محمّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985م، ص59.

وعقل، ودين، وورع، وأمانة، ونزاهة. وكتب له أن يبصّره ويرشده ويلقنه.[1] وقيل لأبي عبد اللهّ " امتثل سيرته، وانظر إلى مخارج أعماله، ومجاري أفعاله، فاحتذ بها، واعمل عليها".[2]

وبهذا أقام الداعي الشيعي مع ابن حوشب في دار الهجرة التي اتّخذها بعدن لاعة،[3] وهي الدّار التي كانت مقرا للجيش والدعوة، وهو التقليد الذي سيلتزم به الداعي عندما يأتي إلى بلاد المغرب، ليترأّس التنظيم الدعوي بها، و يعمل على تأسيس سلطة الإمام،[4] ومن هنا نطرح السؤال الآتي:

لماذا اختار الإمام الحسين ابن حوشب ليكون المعلّم لأبي عبد الله الشيعي؟

يظهر أنّ أئمّة الدعوة بسلمية كانوا يثقون في ابن حوشب ثقة لا حدّ لها، حتّى لقّبوه بمنصور اليمن، وشبّهوه بفجر الدعوة الذي مهّد لشمسها بالظهور.[5] وقد اختاره الإمام الحسين ليكون معلّما للشيعي، لأنّه رأى فيه نموذج الداعي الناجح، الذي تمكّن في أقل من عامين من السّيطرة على معظم

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، 30، 31.

[2]- نفسه، ص30،31، أمّا أبو الفدا والمقريزي فيذكران أنّ أبا عبد الله الشيعي لمّا سمع بقدوم ابن حوشب لليمن سار إليه وصحبه و صار من كبار أصحابه، انظر لعماد الدين إسماعيل أبو الفدا: **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، (د، ت، ط)، ج2، ص64، تقي الدين المقريزي: المواعظ والخطط، ج1، ص 349.

[3]- **عدن لاعة**: هي في بلدة في جبل صبر باليمن، التي كان فيها ظهور دعاة الفاطميين خلفاء مصر، وعدن تبعد عن صنعاء 68 فرسخا، وهي في جبل كالسور عليها وتمام اليور الى البحر، ولها باب الى البحر و باب الى البر يعرف بباب الساقيين، أنظر عماد الدين اسماعيل محمد بن عمر المعروف بأبي الفدا: **تقويم البلدان**، تح: رينود البارون، ماك كوكيين ديكلان، دار صادر، (د،ط)، بيروت، 1820م، ص93

[4]- خميسي ساعد وآخرون: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، ط1، الجزائر، 2007، ص 83.

[5]- حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس دولة الفاطميين في بلاد المغرب**، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، مصر، 1947، ص76.

بلاد اليمن، فأضحت من أهمّ مستودعات الدعوة الإسماعيلية،[1] وليتدرّب أيضا على أساليب الدّعاية

الرّاقية.[2] إذ كانت اليمن بقيادة ابن حوشب مركزا لتكوين الدعاة الماهرين.[3]

أراد الإمام الحسين أن يكون للمغرب ابن حوشب ثاني بقليل من التّعديلات قد رآها في شخصية أبي عبد الله الشيعي. ولا يبعد أن يكون أئمّة الدعوة قد استعانوا بابن حوشب في تعليم دعاة المغرب للتشابه العظيم بين اليمن والمغرب، فإنّ كلاّ منهما بعيد عن مركز الخلافة العباسية.كما انتشر التشيّع انتشارا كبيرا وفيهما سادت الفوضى[4]بظلم الولاه لهم.[5]ومن ثَمَّ رأى أن يستفيد من خبرته في تثقيف دعاة المغرب.[6]

وامتثل ابن حوشب لذلك، فأنزله عنده، وقرّب مجلسه، وأدنى مكانه، ورفع من قدره، أي وضعه موضع الداعي. فشهد مجالسه، وخرج معه في غزواته، فلم يفارقه،[7] وصار من كبار أصحابه، وذلك لما تميّز به من علم ودهاء.[8] وانتهج ابن حوشب أسلوب التّحفيز والتّهيئة النّفسية[9] للشيعي إذ قال

---

[1]- عبد الله جمال الدين: **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصّة بالجيش**، دار الثقافة، (د،ط)، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص40.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين**، منشأة المعارف، (د، ط)، الإسكندرية، 1979م، ج2، 546.

[3]- موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية مند تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري (11م)**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (د،ط)، الجزائر، (د، ت، ط)، ص 234.

[4]- حسن ابراهيم، طه شرف: المرجع السابق، ص76.

[5]- عبد الله جمال الدين: المرجع السابق، ص 40.

[6]- حسن ابرهيم، طه شرف: المرجع السابق، ص76.

[7]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 31.

[8]- أبو الفدا: المصدر السابق، ص 64.

[9]- مصطلح التهيئة النفسية من المرجع التالي، سيف الدين القصير: **ابن حوشب وحركة الفاطميين في اليمن**، دار الينابيع، (د، ط)، دمشق، 1993م، ص49.

له"إنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان.[1] وقد ماتا وليس للبلاد إلاّ أنت، فبادر فإنّها ممهدة لك".[2]ولمّا خرج من عنده نظر وهو مولٍ عنه وربما وصلت إليه، وقال:"إنّ بين كتفيه لنجاة"،[3] وهو نفس الأسلوب الذي تلقّاه ابن حوشب نفسُه من طرف إمامه، حين قال له: "أنت لليمن، وأنت المنصور فيها."[4]ولقد حدّدت هذه المرحلة زمنيا بسنة كاملة، وهي مدّة كافية لضبط موعد اللّقاء بالحجيج واستئناف المهمّة التي توقّفت بموت الداعيين.[5]

يعتبر ابن حوشب المعلّم القدير العالم المخلص للدعوة وإمامها. وأبو عبد الله الشيعي التلميذ المجتهد الذي فاق معلمه.[6]وباختيارهما له، نظرا إليه على أنّه خلاصهما، ونجاتهما، وأملهما في تحقيق أهدافهما، بتأسيس كيانٍ سياسي. وبالفعل كان رجل الموقف والساعة.[7]

المبحث الثاني: شخصية أبي عبد الله الشيعي

أوّلا: رجل سياسي

يتعارف أغلب المؤرّخين على أنّ أبا عبد الله الشيعي هو الذي أطلع شمس الفاطميين من المغرب، واستلّ سلطان البلاد من بني الأغلب، وأقام صرح الدولة الإسماعيلية.[8] التزم بمشروعه السياسي والمتمثّل في إنشاء دولة. فكرّس حياته كلّها في سبيل نجاح مشروعه، بتنازله أولا عن

---

[1]- في سنة خمسة و أربعين و مائة قدم رجلان من المشرق، قيل أن أبا عبد الله جعفر بن محمّد بعثهما و أمرها أن يبسطا ظاهر علم الأئمة و ينشرا فضلهم، وأمرهما أن تجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان فينزل كل واحد منهما ناحية، أحدهما كان يعرف بأبي السفيان وأما الثاني كان يعرف بالحلواني، انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 26، 28، أبي بكر بن محمد بن ابيك الداوداري: **كنز الدّرر و جامع الغرر الدّرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة طيبة للطباعة والترجمة والنشر، (د،ط)، القاهرة، 1380هـ/1961م، ج6، ص 113.

[2]- المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج2، ص349.

[3]- الداعي إدريس: المصدر السابق، ص 83.

[4]- نفسه، ص54.

[5]- موسى لقبال: **ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية و توحيد)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د،ط)، الجزائر، 1990م، ص 25.

[6]- علي حسن الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، (د،د،ط)، (د،ط)، (د،م،ن)، 1972، ص 23

[7]- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، ط5، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص 140.

[8]- محمّد الأعظمي: المرجع السابق، ص79.

بعض الرّغبات والمصالح الخاصّة،[1] فكان رجلا لا يملك إلاّ نفسه وذكائه وحضوره التاريخي. تجرّد من كل أحاسيسه ليخلص لهدفه، فالنفوس الكبيرة تعيش لهدف كبير.

إنّ المتتبّع لحياة الشيعي وبقليل من التعمّق، يجد أنّ الطرق التي اعتمدها في دعوته كانت سياسية[2] أكثر منها دينية.[3] حيث اتّبع فيها من الأساليب التي يمكن أن نقارنها اليوم بأحدث وأنجح الأساليب السياسية في نشر إيديولوجية ما. وجمع من الصفات ما أهّله ليكون زعيما سياسيا من أذكى وأمهر ما عرفه المغرب في العصر الوسيط.[4] كما أنّ المقريزي في وصفه، حيث قال:"من الرّجال الدّهاة الخبيرين بما يصنعون، أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظيمة من غير مال ولا رجال."*[5]

ببروز الشيعي وضعت أوّل لبنة في تأسيس الدولة الفاطمية، التي امتدّ نفوذها في بعض جغرافية العالم الإسلامي. فهي حركة إيديولوجية سياسية تعتمد في دعايتها على تحليل الأوضاع السياسية ودراسة الظروف والقوى السياسية الموجودة آنذاك، وذلك ما قام به أبو عبد الله الشيعي بالفعل في المغرب واستعدّ له،[6] واضعا بذلك مخططا لإقامة حكم للإسماعيلية، فبرزت احترافيته السياسية التي سنتتبّعها من بدايتها:

---

[1]- عبد الكريم بكار: **المشروع الحضاري نحو فهم جيد للواقع**، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، ط1، مصر، 1431هـ/2010م، ص 10.

[2]- والأساس الحقيقي للدعوة الإسماعيلية هو السياسة وتكوين دولة تنقسم مع العباسيين السلطة في العالم الإسلامي، ولذلك وجب اختيار رجل له عبقرية سياسية وجدير بالمهمّة التي كلّف بها، انظر: عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1426هـ/ 2005م، ج1، ص 343.

[3]- نفسه، ص 353.

[4]- الحبيب الجنحاني: **القيروان عبر العصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1988، ص 84.

*- أخطأ المقريزي، بل كان له رجال، وهم كتامة.

[5]- المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج1، ص 58.

[6]- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص 84.

- كانت بداية بتخطيطه في كيفية استدراج قبيلة كتامة[1] البربرية، فسافر إلى الحجّ في الوقت الذي يدرك أنّه يستطيع أن يلقى فيه حجّاج كتامة،[2] وذلك لربط الصّلة بهم.[3]حيث استغل الفرصة المناسبة ليقصد مجلسهم بعدما سمعهم يتحدثون عن فضائل آل البيت بحماس وعاطفة،[4]وكان هذا هو المطلوب فيهم. فكان على نصيب كبير من العبقرية والذكاء والفطنة، فخاطبهم على قدر عقولهم وميولهم، فهو يخاطب الوجدان كما يخاطب العقل. ولا عجب أنّه حاز في ساعات قليلة على إعجاب أهل كتامة وتقديرهم،[5] فاستطاع أن يكسب ثقة بعض الأشخاص المهمّين دون أن يكشف نفسه، ولا أن يخبرهم بغرضه.[6]
- اختيار بلاد كتامة مجالا لنشر دعوته،[7] واتخاذها قاعدة ارتكاز وانطلاق نحو تكوين الجيش لتحقيق مشروعه السياسي.[8] فوقف على أحوالهم العامّة،[9] وخصّص مرحلة من سفره في التّعرف على شؤون بلادهم، ونوع حياتهم السياسية والاجتماعية، وطبيعة علاقتهم في

---

[1]- **كتامة:** من قبائل البربر من المغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس، موطنين بأرياف وقسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل الأوراس من ناحية القبلة، وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومجالات تقلّبهم مثل ايكجان وسطيف...، من حدود جبل الأوراس إلى سيف البحر مابين بجاية وبونة، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 195، للمزيد أيضا انظر: موسى لقبال: دور كتامة، ص 92، 93.

[2]- ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، (د، ت، ط).

[3]- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296– 365هـ/ 909– 975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، تر: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م، ص 83.

[4]- موسى لقبال: الملحمة، ص 24.

[5]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 32.

[6]- ألفردبل: المرجع السابق، ص 160.

[7]- تمّ اختيار منطقة كتامة، ذلك لأنّها تتميز بطبيعة جبلية وعرة وبعدها عن مركز السلطة بمدينة القيروان، وهذه الطبيعة الجغرافية والبعد فرضا عليها عزلة فكرية وعلمية. فما كان يدور من صراع فكري ومذهبي ومناقشات كلامية في القيروان وبعض الأمصار المغربية مثل فاس وتيهرت وغيرهما، لمعرفه هذه المنطقة، لهذا كانت معرفة الكتاميين بالإسلام بسيطة لا تتعدى مستوى المعاملات اليومية، انظر: بوبة مجاني: **دراسات اسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري، (د، ط)، قسنطينة، 2002، 2003م، ص80.

[8]- نفسه، ص 155.

[9]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 32.

المنطقة سواء مع بني الأغلب أو ممثّليهم في الحواضر.[1] وركّز على ما يملكونه من خيل وسلاح، وهو ما كانت تتطلّبه منه المهنة التي كلّف بتنفيذها، لينتقل بها إلى العمل الدعوي بعدما يتمّ نشر المذهب.[2]فكان بذلك يريد صورة واقعية توضّح له أحوال كتامة. كما كان على ذكاء فائق أيضا، فلم يشأ أن يشكّوا فيه،[3] يروي ذلك القاضي النّعمان فيقول:"وكلّ ذلك ويسألهم عن هذا ومثله في خلال الحديث، ويذكره ويذكر أحوال البلدان والعشائر، وكلّ ذلك يسألهم ويجريه حديثا لغير علّةٍ، وهو يَعِي ذلك عنهم، ويستخبر ما يريدُه منهم لما يرجوه ويأمله فيهم، وهم عمّا يريدُه بمعزل. لا يرون أنّه يجري ذلك إلاّ حديثا على ظاهِرِ ما يرون منه، وهو مغتبط بكل ما يسمعه من ذلك، ويرى أنّ الأمر ينتهي فيهم."[4]وبذلك بدا لهم أنّه يريد المقارنة بين أحوال المغرب والأمصار الأخرى ممّا أزاح الشكّ عنه.[5]

- إدراكه بتقدير البربر للعلم والعلماء، "فكان يحرص على أن يسمعوا منه كلّ يوم أمرا جديدا لم يكونوا قد سمعوا مثله، ويستفتونه ويفتيهم."[6] فمالت إليه القلوب، عن ذلك يقول القاضي النعمان: "واجتمع إليه كلّ من كان حاجا ذلك العام من كتامة...وكذلك شأن كتامة إلى اليوم يعظّمون من كان عنده أقلّ شيء من العلم، ويقدّمونه، حتّى المعلّم الذي يكون عندهم، وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن فإنّ له عندهم قدرا وحالا."[7]

بذلك ضمن دخول المغرب بعدما رمى لهم الطعم والتقموه. وكان على عادته يحرص على إبعاد الشكّ عنه، فأوهمهم أنّه يريد العلم ببلد آخر.

---

[1]- موسى لقبال: دور كتامة، ص 236.

[2]- خميسي ساعد وآخرون: المرجع السابق، ص 83.

[3]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 33.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 38.

[5]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 33.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 35.

[7]- نفسه: ص 35، 36.

وذلك ليتمّ التمويه على الكتاميين ولا يرون حرصه على دخول بلدهم، فيسبق إلى قلوبهم الشك. فطلبوه ولبّى الطلب، فوقع في مكانة المرشد عندهم، وهذا ما أشار إليه عباس العقّاد: "أنّ من أساليب الدعاة في دخول البلاد التي يقصدونها بالدعوة، هو أن يكون الداعي مطلوبا لا طالبا، وأن يكون له حماة وأتباع من أبناء البلد قبل دخوله إن استطاع".[1]

- كان على دبلوماسية فائقة، فكان لا يتحدّث بما يريد ولا يتفوّه بما ينفّر، ويدرّ كلاما يحتمل التأويل حتىّ لا يمسك من لفظه، ويقارب كل موضوع حتى يخيّل للسّامع أنّه أوتيَ فيه العلم والفهم. ويبرز كفاءة توحي أنّ وراءه سرّا غيبيا. وهذا ما اتضّح من خلال جوابه لهم عندما شكّوا فيه أنّه صاحب البذر،[2] وفي سؤاله لهم عن فجّ الأخيار.[3]
- حرصه على التزام والتعقّل في غرس المذهب الإسماعيلي،[4] فسلك أسلوبا فيه كثيرا من الزهد[5] والتسامح والحوار، ممّا جعله يجتذب بسهولة زعماء كتامة ويحظى بثقتهم. وأَمَرَ بالمعروف ونَهى عن المنكر، وأظهر مثلا كبيرا من الورع والتحرّي في أخذ الضرائب.[6]
- قسّم دعوته إلى مرحلتين: مرحلة تمثّلت في الدّعاية[7] السلمية في جذب الأنصار والمريدين

[1]- عباس محمود العقاد: **العبقريات الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، (د،ط)، بيروت، (د، ت، ط)، مج2، ص 351.

[2]- انظر الحوار كاملا عند المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 57، 58، القاضي النعمان: المصدر السابق، 42.

[3]- انظر الحوار كاملا عند المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 56، 57، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص48.

[4]- فاطمة بلهواري: **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك للطباعة والنشر، (د، ط)، تلمسان، 2011م، ص16.

[5]- أمّا الإمام الغزالي يرى أنّ الزهد كان من أساليب الدعاة، إذ يبحث أولا به عن معتقد الشخص و ما يميل إليه بطبعه ومذهبه، فأمّا طبعه، فإن رآه يميل إلى الزهد والتقشف والتقوى، دعاه إلى الطاعة والانقياد وإتباع الأمر من المطاع وزجره عن إتباع الشهوات، انظر أبو حامد الغزالي: **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، (د،ط)، الكويت، (د، ت،ط)، ص 23.

[6]- محمّد زنبير: **الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت**، مجلّة مناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد الرابع والعشرون، المغرب، جويلية 1982م، ص114.

[7]- يقال أنّ الداعي استخدم التنبؤ والسحر والتبشير، كوسيلة من وسائل الدّعاية التي تلائم عقلية الناس في هذه الناحية من العالم الإسلامي، إذ يروي بن الأثير أنّه وضع من الحيل والمكيدات والنارنجيات ما أذهل عقولهم، وأتاه البربر من كل مكان

للمذهب الإسماعيلي.[1]والمرحلة ثانية تمثّلت في الخروج إلى العلن والتّصادم المسلح.[2]

- اتّضح له أنّ الدّين هو الذي يكفل له حشد الناس من حوله، فاتخذ قاعدة له، ومكّن لنفسه في كتامة عن طريق الجلوس ليعلّم المجتمع البربري. فكانت أفكاره تقتصر على حبّ آل البيت وحقّهم في الإمامة، ثمّ بفكرة المهدي وظهوره، وشروط طاعته المطلقة، والإيمان به وتقديسه. واجتهد أن لا يستعرض في بادئ الأمر من المذهب الذي كان يسعى لنشره سوى الجانب الظاهري،[3] يقول القاضي النعمان:"فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد لقن عنه وأحسّ فيه ما يريده، ألقى إليه شيئا بعد شيء حتّى يجيبَه فيأخذَ عليه."[4]وذلك لأنّه يدرك أنّهم بعيدين كلّ البعد على أفكار الإسماعيلية أو ما يعرف عندهم بالتأويل الباطني الفلسفي.[5]فمعرفة الكتاميين بالإسلام بسيطة لا تتعدى المعاملات اليومية.[6]
- روّج لفكرة الإمام المستور أو المهدي المنتظر. وتنطوي هذه الفكرة في حدّ ذاتها على منظومة فكرية كاملة، تسعى إلى إصلاح المجتمع فكريا وعقائديا واقتصاديا واجتماعيا لتحقيق أغراض سياسية.[7]

وعظم أمره إلى أن تقاتلت كتامة عليه مع قبائل البربر، انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص451، أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ص 225.

[1]- أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص 225.

[2]- خميسي ساعد وآخرون: المرجع السابق، ص 106.

[3]- محمّد سهيل طقوش: **تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام**، دار النفائس، ط2، بيروت،1428هـ/ 2008م، ص 67.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 49.

[5]- فعلم **الظاهر** هو علم الفقه و الحديث والتاريخ وعلم القرآن، ثم الجد

ل و الكلام، **وعلم الباطن** فهو تطبيق نظرية المثل

والممثول، أو المحسوس و المعقول، انظر المؤيد في الدين: **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، تح: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، ط1، مصر، 1949م، ص 55، وللمزيد أيضا انظر: باقر صادق، طارق عبد الحافظ الزبيري: **قراءة فكرية سياسية في التأويل الباطني عند الاسماعيلية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، (د، ع)، العراق، 2019/11/28م.

[6]- بوبة مجاني: المرجع السابق، ص 80.

[7]- نفسه، ص 80.

- جاءت سياسة أبي عبد الله الشيعي مدرسة للتعايش السلمي بين المذاهب والاتجاهات المختلفة، قبل أن يعلن قيام دولة رسمية، حرصا على عدم الضرب بالمذاهب التي عرفت رواجا كمذهب أهل الجماعة، ومذهب الخوارج من جهة، وجهله لطبيعة أهل البلاد وحاجته لكسب الأنصار، فرضت عليه نوعا من السلوك السلمي، فلم يشأ إثارة المتاعب من بدايتها وهو لم يحقق بعد مبتغاه في خلق كيان سياسي يشبع رغبة الإسماعيلية.[1]

لاشك أنّ مهمّة الشيعي كانت تتطلب منه الكثير من الدهاء، والحيلة، والقدرة، والكفاءة، والعلم، واللّسان الدبلوماسي. فكان على قدر من المسؤولية، إيجابي في استغلال مكانته. فتجمّعت له هذه الصفات فيبرز في الأخير بشخصية الرجل السياسي المدرك للأمور التي تنتظره، والتي ستواجه، قارئا بذلك لنفسيات الشعوب.كلّ هذه الأمور جعلت منه الرجل الأوّل في المغرب، أي التي ستضعه موضع الرجل القيادي، وهذا ما نوضحه في الجزء الموالي.

ثانيا: رجل قيادي

كان لنجاح الحركة الإسماعيلية في المغرب من دون أدنى شكّ مدينة لجهود أبي عبد الله الشيعي، الذي تمتّع بصفات قيادية أهّلته بجدارة للدور الكبير، مؤسسا لدولة تحمل بصماته ولقبه الشيعي.[2] إذ يعدّ من أشهر قادة المذهب الشيعي وناشره. فلمّا كان أبو عبد الله زعيما سياسيا من أذكى وأمهر من عرفه المغرب في العصر الوسيط،كان في الوقت نفسه قائدا عمليا ناجحا. اجتمعت فيه أهم ميزات القائد السياسي الحامل لمذهب جديد.[3]

فإذا رجعنا لمصطلح القيادة في حدّ ذاته، نجده أنّه عملية تهدف على التأثير في سلوك الأفراد وتنسيق جهودهم لتحقيق أهداف معيّنة،[4]وهو ما وصفه عالم الاجتماع الألماني ماكس وبير

[1]- فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص 16، 17.

[2]- إبراهيم بيضون: **الفاطميون قراءة مختلفة في تاريخ الملتبسي**، دار المؤرخ العربي، ط1، بيروت، 1424هـ/ 2012م، ص47.

[3]- الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص84.

[4]- أحمد بن عبد المحسن العساف: **مهارات القيادة وصفات القائد**، (د، م، ن)، (د،ط)، (د، ب، ط)، (د، ت، ط)، ص6.

Max weber (ت 1920م) بالكاريزما القوية. وهي في نظره لا تدور حول الأشخاص ذوي الشخصيات القوّية، وإنّما حول الأشخاص الذين بإمكانهم حشد أتباعهم بطريقة سحرية. إذ يمتلك حاملوها رسالة تفان شديدة حيال تحقيق الهدف.[1]وهذا ما اتضح في شخصية الشيعي إذ كان يتمتّع بشخصية كاريزماتية أهّلته للدور القيادي بجدارة.

نهج الشيعي في حياته نهج المعلّم الصالح، فسلك مسلك الطهر والعفاف والديانة، وأخذ يعلّم النّاس حتى اشتهر أمره. فلمّا استوثق مكانته على هذه الصورة، أخذ يتحول إلى مرشد لهم على طريقة المعلمين الذين يتحولون إلى قادة سياسين، وهو أمر تكرّر حدوثه في المغرب.[2]

فوعدهم الملك،[3] فَأَحَلُوه من أنفسهم محلّ الإجلال والإكرام،[4] فسُمِّيَ مناصروه بالمشارقة نسبة له،[5] وهذا يدل على أنّه ثَبُتَ فيهم، وأصبح آمرهم وناهيهم، حتى استعملوا له ألقابا تعظّم شخصيته، وتبرز سيادته بينهم كالسّيد مثلا، يقول القاضي النعمان في هذا:" فقيل له السّيد بكتامة، كما تقول العرب لصاحب أمرها والشّريف فيها."[6]

وبإنشاء دار الهجرة يكون قد تحوّل من طور التستر إلى طور الظهور.[7] وإذا رجعنا لدار الهجرة فهي تعتبر بصمة لسلطته عليهم وقيادته. ففيها يجد الداعي الاستقرار النّسبي، وسير الانتقال للحفاظ على الذّات ونشر الدعوة في إعداد وإستراتيجية محكمة.[8] فاستطاع باستغلاله للأوضاع تجنيد القوى والطبقات المستضعفة التي أضيرت من جرّاء سيطرة السلطة،[9] مقتديا في ذلك بأئمته.

---

[1]- بيتر مارشال: **الدبلوماسية الفاعلة**، تر: السيد أمين شلبي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2005م، ص94.

[2]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص141.

[3]- محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م، ص328.

[4]- محمّد حسن سرور: المرجع السابق، ص 23.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص79.

[6]- نفسه، ص 32.

[7]- محمود إسماعيل: **الفرق الشيعية بين التفكير السياسي والنفي الديني**، سينا للنشر، ط1، القاهرة، 1995م، 51.

[8]- بوبة مجاني: المرجع السابق، ص106.

[9]- محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص51.

فالإسماعيلية تحرص كل الحرص على دمج المغلوبين والغالبين إلى صفوفها، وأن تجعل من المؤمنين آلات صمّاء بأيديها يمدّونها بالقوة وتبرزها وقت الحاجة.[1]

يعتبر الشيعي القائد الأوّل في التنظيم الدعوي، فهو ينوب الإمام الذي يدعو إليه.[2] استطاع بسلطته القيادية أن يمكّن للدعوة الشيعية في حين غفلة عن الأغالبة، فلم يكونوا يدركون مدى تأثيره الكبير في بلاد كتامة، حتّى وجدوه قد أصبح يهدّدهم في عقر ديارهم[3] بجيش كتامي حقق به انتصارات وبلغ به مقصده.

إنّ صفته القيادية بقدر ما كانت ميزة له، كانت كذلك تهديدا لحياته، فكلمته المسموعة بين البربر، وحبّهم له وسلطته عليهم، هي التي أعطت ترخيص موته في الأخير بعد مجيء المهدي وذلك مخافة الانقلاب عليه.

المبحث الثالث: الأساس العملي عند الشيعي

أوّلا: أبو عبد الله الشيعي في المغرب

رافق أبو عبد الله الشيعي الحجاّج المغاربة حتىّ وصوله مصر[4]، ليقف ويلفت انتباههم بانتهاء رحلته معهم لبلوغ مقصده.[5] فأوهمهم بغايته، أنّه يريد التّعليم، وهو يدري أنّ التّعليم أقرب السبل للوصول إلى ما يطمح إليه،[6] فأخذوا بمحاولته وإقناعه بأنهم هم الأحق والأنسب لمعلم مثله، وهو يمتنع رغم الإغراءات التي قدّمت له، وهذا قصد زيادة تشبّثهم به وتعلّقهم، ولا يزالون به حتىّ

[1]- محمّد الأعظمي: المرجع السابق، ص 17.

[2]- بوبة مجاني: المرجع السابق، ص 155.

[3]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج1، ص 343، 344.

[4]- لم يذكر سنة دخوله لمصر.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص38، المقريزي: اتعاظ الحنفاء، ج1، ص 55، محمد بركات البيلي: **التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس هجري**، دار النهضة العربية، (د،ط)، القاهرة، 1993م، ص 71.

[6]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 56، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 38، 39، موسى لقبال: الملحمة،ص 26، 27.

أجابهم إلى إكمال رحلته معهم،[1] وهي التي كان يسعى إليها منذ البداية. وبصفته المعلم دخل أبو عبد الله الشيعي المغرب مع مرافقه أبي الملاحف.

فهاهي المغرب الآن تشهد تغيرا آخر بوطأة قدم الشيعي فيها، لتتّأهب لدخول حركة جديدة بعيدة كل البعد عن سابقتها. فهل تكون وفادة أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب نقطة بداية تحول ناجحة بمهمّته الموكولة له؟ أم أنه العكس ؟

تمكّن أبو عبد الله الشيعي بما ملكه من حنكة ودهاء للدخول إلى المغرب. وقد دخلها بطلب مُلحٍّ من أهلها، وهو الذي كان يريدها في قرارة نفسه. لكنّه أراد دخولها بهيبة، ووقار، وثبات الأقدام،[2] ليتابع مهمّته دون التشكيك فيه.

بهذا واصل أبو عبد الله الشيعي طريقه برفقة طالبيه، فكان طريقهم من طرابلس[3] إلى قسطيلة[4]، مرورا بسوجمار[5] لينزل بها ضيفا عند بعض أصدقاء الحجّاج المرافقين، وكانوا ممّن قد اعتنقوا المذهب الشيعي، وهم أبو المفتش، وأبو القاسم الورفجومي، وأبو عبد الله الأندلسي*[6]بعدما رغبوا بنزوله عندهم بإلحاح كبير واقترحوا أيهم يستضيفه.

---

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 36، 40، موسى لقبال، الملحمة، ص 27.

[2]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 36، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 56، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص125.

[3]- **طرابلس**: هي من عمل افريقية، وهي مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم، انظر: أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي: **المسالك والممالك**، (د، ت)، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 2004م، ص38.

[4]- **قسطيلة**: هي حصن كبير عامر آهل جيد، ولأهله جلادة وحزم، ومن قسطيلة إلى تاجرة يوم، وأيضا منها إلى بنت الرينة يوم، انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحسن الطالبي المعروف بالشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (د، ت)، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409م، ج2، ص 732.

[5]- أمّا عند ابن خلدون فيذكر أنه دخلها على سرماثة وليست سوجمار على قول القاضي النعمان، أمّا ابن عذاري فيذهب إلى ذكر أنه نزل القيروان، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 42، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص40، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 125.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 40، الداعي إدريس: المصدر السابق، ص85.

*- يذكره ابن خلدون بمحمّد بن حمدون بن السمّاك الأندلسي، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 42.

ولقد كان لأهل الضيافة أمورا بالشيعة أخذوها من الداعي الحلواني الذي كان سبب تشيعهم، ممّا جعلهم يوقنون أنّه صاحب البَذر الذي ذكره الحلواني لهم بعدما دار بينهم من حديث، فأمرهم بالكتمان فكتموا، وشاركوه الرحلة إلى وجهته وأَبَو مفارقته وهذا بهدف التّعرف على ما يحمله.[1]

أ/ أبو عبد الله في استضافة أهل ايكجان

وفي يوم الخميس في النّصف من الشهر الربيع الأول سنة ثمانين ومائتين هجري، الموافق ل 3 جوان سنة ثلاث وتسعون وثمان مئة ميلادي، دخل القوم إلى إحدى بلاد كتامة،[2] وبدخولهم اختلفوا حول المكان الذي سينزل فيه ضيفهم أبو عبد الله، حرصا منهم على نيل شرف حمايته وتأمينه.

فانتهى خلافهم برجوعه إلى رأيه، فذكر أنّه عيّن مكان منزله بفج الأخيار، وأنّه يأتي بعد ذلك كلّ قوم موضعهم. فاحتاروا لأمره لأنّهم رأوه أنّه قد علم ذلك، وهم يدركون أنّه لم يذكروه له،[3] فقالوا:"هو عند بني سكتان، وكان هذا هو موضع موسى وحريث من بني سكتان اللّذين كانوا معه في الحجّ. ولمّا سئل كيف علم به، فقال: البلدان توصف للنّاس وتذكّرهم لها وإن لم يروها، ثمّ قال: والله ما سمّي هذا الفج إلا بكم، ولقد جاء في الحديث أنّ للمهدي هجرة تنبوا عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتقّ اسمهم من الكتمان، فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفج يسمّى فج الأخيار."[4]

---

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص41، 43، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 450، 451.

[2]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 47، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 451، أمّا ابن خلدون والمقريزي يذكران أنّ دخوله كان سنة 288هـ/ 900م، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 42، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 56.

[3]- المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج1،ص 56، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 47.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 47

فأقنعهم بلسانه الدبلوماسي، وبخبرته بجغرافية الكلمة، ليحلّ بعدها أبو عبد الله الشيعي بإيكجان،[1] أي فجّ الأخيار (الملحق 01)[2] بعدما أثّر على بني سكتان فأدركوا أهمّية إقامته عندهم بحديثه الذي سبق ذكره. وبهذا يبدأ في مهمّته بعد إدراكه وتمعنه في كلّ الظروف والجوانب الإستراتيجية المناسبة، وهذا كلّه جزء من تطبيق نشاطه الدعوي.[3]

كانت مهمّته في البداية تأخذ منعرجا دينيا خالصا، ومن طارحهم هذا الجانب مبتدؤون، فلم يكن لهم دراية بالمجالات المذهبية، فقناعتهم به وتقبّلهم له كان بإرادتهم، فلم يكن لهم استعداد لفهم المذهب الإسماعيلي بمجالاته المختلفة المتدرّجة في الصعوبة. فبساطتهم تكمن فيما يملكونه من مبادئ يقيمون بها شعائرهم الدينية فقط.[4] ولهذا أخذ الشيعي في التوجيه المعنوي يبسط لهم بذكر آل البيت،[5] وهذا ليجعل من المغرب العربي وحدة واحدة، وليجعل من مذهبه المذهب السائد في هذه البلاد. فبدأ من النّقطة التي تجعل من هذا المذهب يبدو قريبا من الرّوح في مجتمع غلبت عليه البداوة،[6]وما ذاك إلاّ نصرة آل البيت وتعظيمهم والحديث عليهم بالخير، وامتداحه لفضائلهم وذريتهم، وهذا هو الجانب المبسّط الظاهر منه لترسيخ هذه المعاني في نفوسهم.

---

[1]- **إيكجان:** بقرب من سطيف وهو جبل يسمى إيكجان وبه قبائل كتامة، وبه حصن حصين ومعقل منيع، وكان قبل هذا من عمّالة بني حماد، ويتصل بطرفه من جهة الغرب جبل يسمى جلاوة وبينه وبين بجاية مرحلة ونصف، انظر: الإدريسي: المصدر السابق ج1، ص 269.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 42.

[3]- موسى لقبال: الملحمة، ص 27.

[4]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص39.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 49، موسى لقبال: الملحمة، ص 29.

[6]- محمّد طه الحاجري: **مرحلة التشيع بالمغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1403هـ/ 1983م، ص 18.

فتسامع النّاس به ممّا شدّ فضول أمير إفريقيا[1] ليسأل عنه عامله على مدينة ميلة،[2] فهوّن له الأمر وبسّطه، واكتفي الأمير بذلك وانشغل عنه، ونسى أمره.[3] فبدت للشيعي الأوامر الموكولة له في وهلتها الأولى إيجابية، ولن تعترض طريقه أيّ عقبة ذات صبغة مذهبية. وبالطبع ما لبثت هذه المهمّة بإعطاء ثمارها، فلقد داع صيته في كلّ ناحية بوجود عالم من المشرق.[4] فهم يعتبرون المشرق مركز العلم والعلماء، وكلّ قادم منه يكون عنده شيء ممّا يستيطعون الاستفادة منه.

وهكذا اجتمعت حوله المجموعة الشيعية الأولى التي ستكون المساندة على التّضلع بمهمّته، وتكون هذه المجموعة عبارة عن النّواة الأولى للتشيع بالمغرب. فقد لقّنت من الداعي ما هو كافٍ لها، وأخذت أهمّية عنده، يذكر القاضي النعمان ذلك فيقول:"فإذا رأى الواحد منه بعد الواحد قد لقن عنه وأحسّ فيه ما يريده، ألقى إليه شيئا بعد شيء حتّى يجيبَه فيأخذَ عليه."[5] بذلك تولد طبقة موالية من الدعاة بما تغلغل عندهم من باطن علم الأئمة،[6] وهذا ما كان يطمح إليه، وهو بذر مبادئ التشّيع الإسماعيلي تدريجيا.[7]

قسّم الدعاة على بعض المناطق واستمرّ بتفاعل الناس معه، إلاّ أنّ هذا التجاوب الذي حظي به الشيعي لما فيه من خيرة له، فيه جانب مضّر به، لأنّ هذا التقدّم سيكون سببا في إيقاظ العيون

---

[1]- **إبراهيم أحمد بن محمّد بن الأغلب:** من أمراء الأغالبة أصحاب إفريقيا، ولي إفريقية بعد وفاة أخيه أبي الغرانيق سنة 261هـ /874م ومدة ولايته 28 سنة و6أشهر، توفي سنة 289هـ/ 901م، انظر: خير الدين الزركلي: **قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، (د، ط)، بيروت، 2002، ج1، ص28.

[2]- **ميلة:** مدينة عظيمة جليلة عامرة ومحصنة. وهي بأقصى إفريقية، بينها وبين بجاية ثلاث أيام وبينها وبين القسطنطينية يوم واحد، وهي على شرق مدينة بني حماد على أربع مراحل منها، انظر: أحمد بن اسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: **البلدان**، (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ، ص190، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص 265، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: **معجم البلدان**، (د، ت)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج5، ص244، الحميري: المصدر السابق، ص 568.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 46، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 57.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 49، موسى لقبال: الملحمة، ص 29.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص49.

[6]- طه الحاجري: المرجع السابق، ص23.

[7]- محمد البيلي: المرجع السابق، ص64.

المغمضة الغافلة عنه، فتتنبّه لخطورة الوضع حولها بعدما كانت لا تبالي به واستخفّت به في بادئ الأمر، لما علمته من تبسيط من عامل ميلة من قبل.[1]

بدأوا أوّلا بتشويه مكانته وأنصاره، ثمّ ما لبثت أن تطورت عزيمتهم إلى محاولة الضغط القبلي على بني سكتان لقبول مجلس لمناظرة الداعي أو تسليمه.[2] وانسحاب أيديهم عن حمايته،[3] فكانت المناظرة ما هي إلّا ذريعة لينالوا منه، وقد تعرّض وجود أبي عبد الله إلى الخطر. فاستتر هذا الأخير واختفى.[4] واكتشف بنو سكتان المؤامرة فجهّزوا أنفسهم ليخرجوا للمواجهة، وقد انتهت هذه المواجهة بانتصار بني سكتان.

رغم ذلك لا زالوا يراودونهم لتسليمهم الرجل، فتكون هذه المؤامرة السّبب في خروج أبي عبد الله الشيعي إلى تازورت. فيتّولى استضافته هو وأنصاره الحسن بن هارون الغشمي.*[5] فهاهي طريق مهمّة الشيعي تأخذ منعرجا آخر، فهل يتغير مصير الدعوة والداعي بتغيير مكانه؟

ب/أبو عبدالله بتازروت تحت حماية بني غشمان

بدأت مرحلة جديدة مع الشيعي في منطقة غير ايكجان، وقوم غير بني سكتان. إذ كانت ايكجان الأساس الأوّل في بداية مهمّة الشيعي، ولكن لظروف قد ذكرناها آنفا، اكتمل تطورها في

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 49، طه الحاجري: المرجع السابق، ص25 .

[2]- موسى لقبال: الملحمة، ص 35.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 87.

[4]- موسى لقبال: الملحمة، 36.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 87.

*- **الحسن بن هارون:** يصفه القاضي النعمان أنّه كان رجلا من خيار المؤمنين فيه عقل وله أدب، كان مطاعا في قومه وسكنه كان بتازورت، انظر: نفسه، ص 87.

منطقة تازروت.[1] بهذا تكون حاميته الجديدة فيها، وذلك بمناداة قبيلة بني غشمان له، فوجد فيها الأمان هو ومهاجرون معه.

بدأ باستئناف أعماله من حيث توقف فقام بجمع مناصريه، وإعادة تشكيل المجتمع الخاصّ به في منطقة غير التي اختارها وألفها بإرادته في بادئ الأمر. فأتته القبائل من كل مكان، وعظم شأنه، وأعطى الرئاسة للحسن بن هارون، وسلّم إليه أعنّة الخيل ليجابه أعداءه.[2] فكان الظّفر لهم، وغنم الأموال، وخندق على مدينة تازروت، وانضمّت له لهيصة.[3] فزحف إليه قبائل المغرب واقتتلوا مرارا فكان النصر حليفه،[4] وازداد عدد مناصريه، وأُخفقت المؤامرات، وحُسمت الأمور لصالح أبي عبد الله الشيعي.[5]

من هنا انتقل الشيعي إلى خطوته الموالية في بناء قصر، فسكنه بنفسه، واقطع الأولياء دورا حوله، وأحاط به من ارتحلوا إليه من الشيعة المؤمنين من كلّ ناحية. واقبلوا يشيّدون بيوتهم، وسكنوا ووطّنوا حتى تكاملت صورة هيكلة دار الهجرة.[6] ليبرز بذلك مجتمع متكامل، وحان الآن السّعي إلى توسيع رقعة الشيعة حوله، ويكون لتازروت شأن بأن تصبح قاعدة حملات الشيعي، وإظهار قوّة جماعته.

انتقل الشيعي بعد ذلك من مجرد داع إلى قائد يقود الجيوش[7] في صدّ أعدائه، فانصاع له كلّ من كان رافضا له، إذ يذكر القاضي النعمان في كتابه يقول: "واستوت أمور أبي عبد الله الشيعي

[1]- **تازروت**: من أعمال سجلماسة، انظر: محمّد سهيل طقوش: المرجع السابق، تهميش المؤلف، ص 68. (لم نجد لها تعريفا غير هذا).

[2]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 98، 99، المقريزي: اتعاظ لحنفا، ج1، ص 58.

[3]- **لهيصة**: من بطون كتامة، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 196.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 98، 99.

[5]- الخربوطلي: المرجع السابق، 43.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص109، موسى لقبال: الملحمة، ص37.

[7]- محمّد البيلي: المرجع السابق، ص78.

على عامّة بلد كتامة، وظهرت دعاته في كلّ ناحية منها، وغلب أمره عليه، واستحكم، ولم يبق فيها إلّا من دخل دعوته، إمّا راغبا وإمّا راهبا..."[1]

لم يقف هنا فقط، بل استمر في تحسين من أمر هذا المجتمع. فبعدما كان هذا المجتمع يتفرّق إلى عدّة طبقات، وكلّ وهدفه في الدخول تحت راية أبي عبد الله الشيعي، إلاّ أنّ بسياسته استطاع أن يغيّر ما كانوا عليه، وتكون عينه مفتوحة على كلّ ما حوله.[2] إذ قسّم كتامة أسباعا، وجعل كلّ سبع منها عسكرا، وقدّم عليهم مقدما، وأطلق بكلّ موضع داعية، وسمّى المقدّمين والدعاة بالمشايخ رغم صغرهم."[3]

نتج عن هذا مجتمع صالح فيه خير. وممّا ذكر على ما ساد فيه من ترابط، وتلاحم، وآمان، أنّه إذا فقد أحد التجار شيئا في طريقه بقي ذلك الشيء في موضعه الذي فقد فيه، حتى يمر صاحبه فيأخذه.[4]ومع كل هذا لم نره ينسى أئمته، فنجده يتواصل معهم. فقد كان لهم خبر بكلّ ما يدور في المغرب، فيرسل لهم الرّسل محمّلين بالأموال والهدايا ليطمئنهم على أنّهم قد اختاروا الأنسب لهذه المهمّة وهذه البلاد.[5]

ولا يزال طموح أبي عبد الله الشيعي في تحقيق النجاح لمهمّته لأبعد الحدود، فيضع كلّ اهتمامه على أعظم انجازاته وهو الالتفاتة نحو فتح المدن، وإخضاع أمراءها.[6] فها هو الطريق للوصول إلى التخلّص من عقبته الكبرى في هذه البلاد وهي دولة الأغالبة.

تحدّد تازروت بالمرحلة الجهادية لأبي عبد الله الشيعي، والتي ينتهي فيها دور الحديث والرّسل الذي كان في إيكجان، ليأتي دور السلاح والبقاء للأقوى؛ إذ لم تنتهي هذه المرحلة بعد،

---

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، 116.

[2]- محمّد البيلي: المرجع السابق، ص79.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، 124.

[4]- نفسه، ص 122.

[5]- الداعي إدريس: المصدر السابق، ص60، 61.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 127.

لأنّها تتواصل في العنصر الذي يليها، إلاّ أنّها قد تكون بصفة جهادية خالصة دون النّظر إلى أحوال تازروت الداخلية فيكون زوالها بالحرق والهلاك.

ثانيا: صراعه مع الأغالبة

عُرف الأغالبة بعدائهم للشيعي، وذلك لاختلاف مذهبهم بمذهبه، وسياسيتهم عن مقاصده، إذ لم يكن هذا الخلاف حديث النّشأة، بل رافق الشيعي في كل المراحل التي مرّ بها في المغرب، بداية من دخوله ايكجان. فكان في البداية عبارة عن مناوشات لم يلتفت لها الشيعي، ولم تلق منه الاهتمام والمواجهة والظهور في هذه المناوشات كطرف مقابل رئيسي، بل تعامل معها فقط بالردّ عن الرسل التي وجهت له من الأغالبة.[1] وترك التّصرف في مواجهتها لحاميه من بني سكتان.

رغم تعرضه لعدّة مؤامرات للظّفر به، إلاّ أنّه نجا منها، ليتطور بعدها هذا الخلاف من مناوشات إلى صراع، وذلك بعد انتقال الشيعي إلى تازروت، فيضيف إلى جانبه الدعوي الجانب العسكري، فقد اجتمع لديه أعداد معتبرة من المناصرين يستطيع تكوين جيش بهم. فكان لحمله السيف غرضان: الأوّل هو هزيمة الأغالبة هزيمة نهائية، والثاني وهو التوسّع، وفتح المدن، وإخضاع النّاس لدعوته.[2]

إنّ جهاد الشيعي في اتساع الدعوة وامتداده على أرجاء إفريقية[3] أمر مقطوع لا رجعة فيه. إذ مارس الشيعي نشاطا عسكريا واسع المدى، وخاض معارك كثيرة، فتكلّلت هذه المعارك بالنّجاح والفتوحات. وكانت البداية بفتح ميلة.[4]

توالت الفتوحات والانتصارات إلى أن وصل به الدور للمواجهة مع أبي حوّال محمّد بن عبد الله

---

[1]- للإطلاع على هذه المراسلات أكثر، انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 54، 59.

[2]- محمّد البيلي: المرجع السابق، ص 79.

[3]- نفسه، ص 79.

[4]- أحمد الحمروني: **الشيعة في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس هجري**، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، العددان 22، 23، تونس، أكتوبر 1982م، ص79

بن إبراهيم سنة 289هـ/ 901م[1] فانضمت إليه قبائل عديدة في محاربة الشيعي. وانهزم أمامه الشيعي مرّتين بملّوسة[2] ليعود أدراجه نحو ايكجان لاعتبارها المكان الآمن له.

واصل أبي حوّال مطاردته واللحاق به حتى وصل تازروت فوجدها خالية فحرقها.[3]بذلك تتحول قاعدة ومستوطنة الشيعي التي أقامها مع مجتمع متشيع إلى رماد، لتواجه بعدها ميله نفس المصير. وبزوال قاعدة تازروت يحاول من جديد تهيئة إيكجان ليسكنها هو وأتباعه.

استمرت أعماله دون توقف أو تأثر بالمعيقات التي سبّبها له أبي حوّال، وهو في ذلك حتّى يصله خبر وفاة الأمير إبراهيم الثاني وكان ذلك أواخر 289هـ/ 901- 902م، وتولّى الأمر بعده ابنه أبي العباس عبد الله. لكن هذا الأخير كانت فترة حياته قصيرة مثل أبيه بسبب انقلاب ابنه زيادة الله عليه وقتله له.[4]

بهذه الأخبار المشجّعة لأبي عبد الله الشيعي، استمر على ما هو عليه من صراع مع أبي حوّال فيخرج إليه للمرّة الأخيرة. وباستعمال ذكائه وحيلته، نجح أبو عبد الله في التغلّب عليه وهزيمته، فيعود أبي حوّال بعدها إلى سطيف[5] مهزوما، ومنها إلى تونس بطلب من زيادة الله فتكون نهايته على يده، هو وإخوته وعمومته، وذلك في شهر رمضان سنة 290هـ/ 902م[6] لينفرد زيادة الله بالأمر لنفسه.

---

[1]- **أبي حوّال**: يقال هو ابن إبراهيم بن الأغلب وأخو أبو العباس، انظر: المقريزي: اتعاظ لحنفا، ج1، ص 58، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 452.

[2]- لم نجد لها تعريف

[3]- لمزيد من التفصيل، انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 138، 142.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 143، أحمد الحمروني: المرجع السابق، 79.

[5]- **سطيف**: مدينة كثيرة الخير، تقارب ميلة، وهي على مرحلتين من المسيلة، وتصاقب القسطنطينية، وبينها وبين القيروان عشر مراحل، انظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص 95، الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 745.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص146، 148، أحمد الحمروني: 79، 80، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص123، ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 69.

لكن هذه الحادثة قد عادت عليه بالضعف والوهن،[1] فخدم بذلك الشيعي الذي استغلّها، وليس هذا فقط، إذ يذكر بن الأثير:"أنّ كلّ حاشية زيادة الله من الوزراء كانوا شيعة. فلا يسوؤهم ظفر أبي عبد الله".[2] هذه الأسباب التي تحولت إلى نقاط ضعف لدولة الأغالبة، فتنّخر فيها لتتهاوى، كانت بادية للشيعي، وقد اكتشفها.[3] وما يزال الشيعي يلحق الهزائم بجيوش زيادة الله.. فاستولي على سطيف ثمّ فتح طبنة[4] ثمّ ما يليها من مدن، وكان ذلك من سنة (290- 294هـ/ 902- 906م) (الملحق 01) وهذا ما ترك زيادة الله يدبّ فيه الخوف،[5] فيكتب بكتاب يحثّهم فيه على الجهاد، ويرسل بنسخة إلى كلّ ناحية، ليُقرأ على المنابر، وفي كلّ هذا وأبو عبد الله يزداد قوّة وعظمة، فلا زال من فتح لآخر لتجتمع بغّاية[6] ومجّانة،[7] وتبسّه،[8] ومسكيانة،[1] ومدبرّة، ومرماجنّة[2]، في 294هـ/ 906م وغيرها من المناطق كلّها تحت رايته وكلمته.[3] (الملحق 02)

---

[1]- أحمد الحمروني: المرجع السابق، ص80.

[2]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص128.

[3]- أحمد الحمروني: المرجع السابق، ص80.

[4]- **طبنة:** بلدة في طرف إفريقية، مما يلي المغرب على ضفة الزاد. فتحها موسى بن نصير، وبها قصر وأرباض وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر، وهي التي ينزلها الولاة، أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص21، اليعقوبي: المصدر السابق، ص190.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 185، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 142.

[6]- **بغّاية:** هي مدينة كبيرة في أقصى إفريقيا بين مجّانة وقسطيلة، ينسب إليها أحمد بن علي بن أحمد بن محمّد عبد الله الربعي الباغايي المقري، بها قبائل من الجند والعجم من أهل خرسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم، حوّلها قوم من البربر من هوّارة بجبل جليل، يقال له الأوراس يقع عليه الثلج، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 325، اليعقوبي: المصدر السابق، ص 190.

[7]- **مجّانة:** بينها وبين القيروان أربع مراحل، مدينة ذات سور، كثيرة الزعفران والزرع وبها معدن الحديد، سمّيت بمدينة المطاحن لتوفرها على مقطع حجارة الأرحاء، انظر: اليعقوبي: المصدر السابق: ص 188، االبن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص 84، وأبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري الأندلسي: **المسالك والممالك**، (د، ت)، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، 1992م، ج2، ص710.

[8]- **تبسّة:** بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل في قفر سبيبة، وهو بلد قديم به آثار الملوك. وبينها وبين سطيف ست مراحل في بادية تسكنها العرب، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص13.

واصل زحفه ليصل إلى القصرين[4] وقمّودة[5] فيحتلهما. وفي طريقه إلى رقّادة[6] يواجه زيادة الله بدار مدين، ويكون النّصر في البداية له، ليتحوّل بعدها إلى هزيمه في جمادى الأولى 296هـ/909م، وينسحب إلى الأربس،*[7]وفي 2 جمادى الآخر296هـ، الموافقة لفيفري 909م، تكون معركة الفصل بينهما في الأربس، وتنتهي بانتصار الشيعي وهزيمة زيادة الله.[8]

ثم توجه إلى قسطيلة،[9] وقفصة،[1] ليصل أخيرا إلى رقّادة. (الملحق 02) ويخرج شيوخ القيروان وفقهاؤهم ليلتقوا به، فسلّموا عليه، وهنّئوه بالفتح، ولقوا منه أحسن الرّد.[2] أمّا زيادة الله كان

---

[1]- **مسكيانة:** هي قرية بقرب من مجانّة، وهي أكبر من مرماجنّة. عليها سور قديمة، كثير المياه، وهي على نهر يقال له نهر ملاق، أنظر: ابن حوقل: المصدر السابق، ج1، ص 84، البكري: المصدر السابق، ج1، ص 710، الحميري: المصدر السابق، ص558.

[2]- **مرماجنّة:** قرية بإفريقية لهوارة قبيلة من البربر، بين مرماجنّة والأربس مرحلة، انظر:ياقوت الحموي:المصدرالسابق،ج5،ص109

[3]- أحمد الحمروني: المرجع السابق، ص 80، 81، وللمزيد انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 172، 187.

[4]- **القصرين:** بعيدة عن قالمة ثلاث أيام، وعن دور مدين ستة أيام، الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص267.

[5]- **قمّودة:** بلد واسع فيه مدن وحصون، ومن مدنها سبطيلة التي فتحت أيام عثمان بن عفان، أهلها متمردون عن طاعة السلطان، وهي على سبعين ميلا من القيروان أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 383، الحميري: المصدر السابق، ص 302.

[6]- **رقّادة:** وهى من القيروان على 4 أميال، وهى مدينة كبيرة، وكانت أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه، وليس بإفريقية أعدل هواء من رقّادة ولا أرق نسيما، ولا أطيب تربة. يقال إنّ من دخلها لم يزل يضحك مستبشرا مسرورا من غير سبب، انظر:~ مراكشي: **الإستبصار في عجائب الأمصار** من 6هـ -12م، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، 1985م،ص 116.

*- **الأربس:** مدينة وكورة بافريقية، وكورتها واسعة، واكثر غلّتها الزعفران، وبها معدن حديد، وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب، قال أبو عبيد البكري: الأربس مدينة مسوّرة، لها ربض كبير، ويعرف ببلد العنبر، وإليها سار إبراهيم بن الأغلب~ حين خرج من القيروان في سنة 196هـ، وزحف إليها أبو عبد الله الشيعي ونازلها، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 136.

[7]- للمزيد وللتفصيل أكثر، انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص218، 226.

[8]- للتفصيل والتوسع أكثر في الرواية، انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 227، 231.

[9]- **قسطيلة:** هي حصن كبير عامر آهل جيد ولأهله جلادة وحزم، ومن حصن قسطيلة إلى حصن بنت الزينة يوم وهو حصن حصين وله كروم كثيرة وأعمال واسعة، انظر: الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 732.

قد فرّ إلى مصر ثم إلى بيت المقدس حيث وافته المنيه ودفن هناك.[3] وهكذا توارت واختفت سلطة الأغالبة بالمغرب، حيث امتد صراعها مع الشيعي من سنة 280- 296هـ/ 893- 909م، لتحلّ محلّها سلطة جديدة قائمة على المذهب الإسماعيلي.

ثالثا: التمهيد لدولة الفاطميين وقيامها:

أحرز أبو عبد الله الشيعي انتصارات عديدة، فكان أكبر انتصاراته، هو إزاحة عقبة الأغالبة عن طريقه، وإخضاع مدنها، واندثار حكمها وسلطانها. وباشر بعدها في التنظيمات العامة، وتوطيد نفوذه في رقّادة، والقيروان."فأمر خطباء المساجد بالصلاة على محمّد وعلى آله و على أمير المؤمنين إمام علي بن أبي طالب الحسن و الحسين وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم جميعا، وأن يكون الآذان بحيّ على خير العمل"،[4] وهو إلى الآن متستر عن أمر المهدي، فلم يذكر اسمه في الخطبة، لأنّه لم يحن أوان ذلك بعد.[5]

أمر بقطع شرب المسكر، وكلّ ما ظهر من المنكر، ونشر العدل وإذاعة. فاستوت الأمور واعتدلت، واشتدّت المملكة وقويت. فولّى القضاء بمدينة القيروان محمّدا بن عمر المرورّوذي.[6] وأمر بضرب السكّة، ولم ينقش فيها اسم أحد. ولكنّه جعل مكان الأسماء من وجه "بلغت حجة الله،"[7] والوجه الآخر "تفرّق أعداء الله"، ونقش سكّة جعل فيها مكان ذلك "الحمد لله ربّ العالمين" ونقش على السلاح" عدّة في سبيل الله" ووسم الخيل بعبارة" الملك لله" وفي فصّ خاتمه ﴿**فتوكل على الله إنّك على الحقّ مبين**﴾[النمل: 79] وفي الخاتم الذي يطبع به كتب

---

[1]- **قفصة:** تبعد عن ثلاث أيام، وهي مدينة حصينة عليها سور حجارة وفيها عيون ماء داخل المدينة، انظر: اليعقوبي: المصدر السابق، ص188.

[2]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 243، 244.

[3]- الداعي إدريس: المصدر السابق، ص 136، 137، ابن خلدون: المصدر السابق،ج4، ص 46.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 250، الخربوطلي: المرجع السابق، ص50.

[5]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص359.

[6]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص247، الداعي الإدريسي: المصدر السابق، ص140.

[7]- نفسه، ص250.

﴿**وتمّت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدّل لكلماته وهو السّميع العليم**﴾[1] [الأنعام: 115] وبقي بلباسه الرثّ بثّياب خشن وقليل الطعام.[2]

ومع كلّ هذه التنظيمات كان أبو عبد الله الشيعي يهيئ نفسه للمهمّة أعظم، وهي تحرير عبيد الله المهدي[3] من سجلماسة[4] بعد أن قبض عليه وعبد الله في صراعه ضد الأغالبة. فيخرج إلى سجلماسة في شهر رمضان من سنة 296هـ الموافقة لمارس 909م، إلاّ أنّه قد صادفه مشروع آخر لا يقلّ عن الذي قبله أهمّية، وهو ما تشهده الدولة الرستمية من أزمة الحكم القائمة في الأسرة المتهاوية على عروشها. كما أنّ السكان بدأو في التّخلي عن نظام الإمامة الرستمية. ونظرا لعدم إبدائهم ردّة فعل في المعارضة والمقاومة، استغلّ الداعي ذلك بتنفيذ خطة،[5]وهي الاجتماع بالإمام اليقظان ابن أبي اليقظان وأسرته، ثم قتله لهم، ولم يفر من قبضته إلّا القليل.

بعدها دخل الداعي تيهرت آمنا مطمئنّ النّفس لعدم وجود أي مقاوم ضده، وكان ذلك في شوال 296هـ/ 909م،[6] ليضمّ ممتلكات الرستميين إلى نفوذه،[7] ويمضي في ما كان مخططا له، ويواصل سيره إلى سجلماسة حيث المهدي.[1]

---

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص151.

[2]- نفسه، ص 251، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص459، الداعي إدريس: المصدر السابق، ص139.

[3]- **عبيد الله**: هو أبو محمّد عبيد الله 159- 322هـ الملقب بالمهدي، هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهو أوّل من قام من الخلفاء الخوارج العبيديين الباطنية وأبطنوا مذهب الإسماعيلية وبثّوا الدعاة، انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 17، شمس الدين ابو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تح: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (د، ب، ط)، 1405هـ/ 1985م، ج15، ص 141.

[4]- **سجلماسة**: مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشر أيام تلقاء الجنوب،وبينها وبين القيروان ستة وأربعون مرحلة. بنيت سنة أربعين ومئة وهي مدينة على نهر يقال له زير، وليس بها عين ولا بئر وبينها وبين البحر عدة مراحل،~ وأهل سجلماسة أخلاط والغالبون عليها البربر وأكثرهم صنهاجة، أنظر:الحموي: المصدر السابق، ج3، ص192، البكري: المصدر السابق، ج2، ص 835، 841، اليعقوبي: المصدر السابق، ص198.

[5]- موسى لقبال: الملحمة، ص 73، محمّد البيلي: المرجع السابق، ص 7.

[6]- فرحات الدشراوي: المرجع السابق، ص177.

[7]- أحمد الحمروني: المرجع السابق، ص81.

عند وصول الشيعي إلى مكان حجز المهدي، كان حذرا دقيق الخطى، مترقبّا لما سيحل بعبيد الله وابنه القائم عند انتشار خبر إيقاعه بالإمامة الرستمية، وأنّه متّجه نحوه،[2] وقد وجد ما فكر به محله، حيث أنّ أمير سجلماسة اليسع بن مدرار الصفري، أغلق كلّ السبل إليه، حتىّ أنّه مزّق الكتب، وقتل سفراء أبي عبد الله، ورفض التّواصل معه.[3] بذلك استبدل أبو عبد الله الشيعي أسلوب اللين معه إلى إخضاع وإرغام أمير سجلماسة بواسطة الحرب واستعمال القوّة.[4]

عندما أحسّ الأمير بقوته وعظمة جيشه فرّ هاربا،[5] ولم يعلم أبو عبد الله بذلك لانشغاله لما سيحل بالمهدي منه. ولكن بحلول الصباح خرج إليه أهل المدينة وأخبروهم بفراره، فدخل إليهم إلى حيث المهدي وأخرجوه وابنه.[6]

كانت فيهم مسرّة عظيمة كادت تذهب عقولهم على قول القاضي النعمان.[7] و"أقبل أبو عبد الله على المهدي وابنه بفرسان فركباهما، وأخذوا يشقون جمع النّاس والدعاة يمشون حولهما، وأبو عبد الله بين يدي الإمام يقول: هذا مولايا و مولاكم أيها المؤمنون، ويحمد الله عزّ وجل ويبكي لشدة فرحه، حتى وصل الإمام إلى مخيم فازة، وكلّ من حوله متأثرون يبكون، وهو يثني عليهم ويذكّرهم فضله."[8] ولمّا استوت أحوال سجلماسة، وثبتت لعبيد الله، اتجه إلى رقّادة، فدخلها من

---

[1]- أحمد بيضون: المرجع السابق، ص50.

[2]- موسى لقبال: الملحمة، ص73، أحمد العبادي: المرجع السابق، ص 227.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص278.

[4]- موسى لقبال: الملحمة، ص76.

[5]- الداعي ادريس: المصدر السابق،ص160.

[6]- في رواية أخرى يقال أنّه لما بلغ اليسع خبر وصول الشيعي قتل المهدي في السجن وهرب، ولمّا دخل أبو عبد الله إلى السجن وجد المهدي مقتولا وعنده رجلا من أصحابه كان يخدمه، فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه ما دبره من الأمر إن عرفت العساكر بقتل المهدي، فأخرج الرجل وقال: هذا هو المهدي. ولما استبّ للمهدي الأمر قتله وقتل أخاه وذلك لكي لا يكشف أمره. فقد يكون هذا سببا في قتل الشيعي إذا صدقت الرواية، انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 118، الذهبي: المصدر السابق، ج15، ص 142.

[7]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص279، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي: **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1985م، ج2، ص 249.

[8]- نفسه، ص 279، 280، المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص 65.

عشرين ربيع آخر 297هـ الموافق لديسمبر 910م، واتّخذها قاعدة له لقربها وسهولة تواصلها مع المشرق، وأُمر بذكر اسمه في الخطبة على منابر البلاد وتلقبه بالمهدي أمير المؤمنين.[1]

بذلك ينتهي عمر المرحلة الأولى في تاريخ الحركة الإسماعيلية، بانتهاء دور تأسيس الدولة الفاطمية في سنة 297هـ/910م،[2] (الملحق 05) فتبدأ مرحلة إمامة عبيد الله المهدي ويستلم جهود أبي عبد الله التي بها نشر مبادئ الشيعة بين أناس متمسكّين بالمذهب المالكي بدون أي عوائق كبيرة.[3]

ولمّا أعلن المهدي الخلافة "استقامت له البلاد واستقرت قدمه، ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه."[4] وفضل كلّ هذا راجع للداعي الشيعي، ولكنّ الأحوال تغيّرت على أبي الله الشيعي بتغيّر مجريات الأحداث بعد مجيء المهدي، لتكون ثمار بذور الشيعي هي التي أودت بحياته بعد كل العناء والتعب لإنجاح مهمّته، فتكون نهايته بانتهاء مهمّته، فقد تعددت الأسباب، ونتيجتها المحتومة واحدة، وهي دفع ثمن إخلاصه ونجاحه في مهمّته.

قتل الشيعي يوم الاثنين من نصف جمادى الآخر سنة 298هـ، الموافق ل 28 فيفري 911م بمدينة رقّادة.[5] وكان اغتياله بعد عام من نشأة الدولة الفاطمية. والسبب أنّ المهدي أراد أنّ يستفرد بكلّ السلطة إليه، بينما الداعي يحاول الاستمرار بإدارة شؤون الدولة، وقد أمره بأن يترك كلّ

[1]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص461، القاضي النعمان: المصدر السابق، ص292.

[2]- أحمد العبادي: المرجع السابق، ص230.

[3]- فرحات الدشراوي: المرجع السابق، ص167.

[4]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص461.

[5]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص316، ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص44، 48، ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 461، 462، شمس الدين ابو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت، ن)، ج1، ص 435.

الأمور له،[1] فقال:" لو كنت تجلس بقصرك وتتركني مع كتامة آمرهم وأنهاهم لأنيّ عارف بعاداتهم، لكان ذلك أهيب لك في أعين النّاس."[2]

غير أنّ المهدي استمر في سياسة جمع السلطات في يده، فأثار هذا العمل غضب الداعي وأصحابه، وخاصّة أخوه أبو العباس فهو الآخر لم يعجبه ما آل إليه شأن أخيه،[3] وهذا الذي عجّل بقرار موتهم، فأمر المهدي بقتلهم، وذلك مخافة الانقلاب عليه. ويوم وفاته قد ذكرت كلمات تدل على مدى إخلاصه للدعوة التي كلّف بها، وذلك لمّا طلب منهم أن لا يفعلوا، فقالوا له: "إنّ الذي أمرتنا بطاعته أمرنا بقتل، فقتل هو وأخوه أبو العباس وصلى عليه المهدي وقال: رحمك الله يا عبد الله وجزآك خيرا بجميل سعيك."[4]

لاشكّ أنّ مهمّة الشيعي التيّ كلّف بها كانت تتطلب منه الكثير من الاجتهاد والجهد، فكان على قدر من الدهاء، والحيلة والمسؤولية، ما مكنّه من البروز بشخصية الرجل التكتيكي السياسي والقيادي العسكري، فحلّل الأوضاع، ودرس النفسيات، واستطاع بذلك رسم خطوط الدولة الفاطمية من أول يوم دخله المغرب. وما لبث أن أصبح الرجل الأول فيها. كان على قدرٍ من الصدق والإخلاص والأمانة، فأشبع رغبة الإسماعيلية بتأسيس كيان سياسي، واستطاع ربط اسمه بدولة كبيرة شملت بعض أجزاء العالم الإسلامي. ولكن ما لبث أن دفع ثمن النجاح بمؤامرة دبّرت له راح ضحيتها وكذلك هم الشخصيات العظيمة.

[1]- أحمد العبادي: المرجع السابق، ص230.

[2]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص67، للمزيد أيضا: يحي بن سعيد بن يحي الانطاكي: **تاريخ الأنطاكي المعروف بالصلة تاريخ أوتيخاء**، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، (د، ط)، طرابلس، لبنان، 1990م، ص 65، 66.

[3]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص306.

[4]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج1، ص68.

الفصل الثاني

الفقيه عبد الله بن ياسين (ت451هـ/ 1059م)

المبحث الأول: التعريف بعبد الله بن ياسين

المبحث الثاني: شخصيته بن ياسين الدعوية

المبحث الثالث: الأساس العملي عند بن ياسين

المبحث الأوّل: التعريف بعبد الله بن ياسين

لقد انضمّ المغرب الإسلامي إلى الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي بعد الفتوحات، إلّا أنّ هذا لا ينفي أن ركائز الدين وتعاليمه المحضة كانت قد تمركزت في الشمال الإفريقي فقط، ولم تتوغّل في الدّاخل إلى عمق الصحراء، فقد ساد على هذه المناطق انتشار الرّذائل والمنكرات بين مجتمعات ابتعدت كلّ البعد عن الطاعات واستبدلوها بالمعاصي، ليتغيّر هذا الوضع برجل منهم يعيدهم إلى أصل دينهم، فيكون بذلك صاحب الدعوة والمرتكز الذي قامت عليه دولة المرابطين. فمن هو صاحب هذه الدعوة؟ وفيما تمثّلت شخصيته الدعوية؟

أوّلا: بداياته

على الرغم من عظمة هذه الشخصية التي كانت من أهمّ الشخصيات التاريخية التي لها أثر في مجرى تاريخ المغرب الإسلامي، إلاّ أنّنا لا نجد دراسة كافية في تاريخ هذه الشخصية الإصلاحية، ولا نجد الكثير عن سيرته ونشأته، إلاّ في ثنايا وطيّات دراسات مؤرّخين لتاريخ دولته، والقائم عليها يوسف بن تاشفين[1] الذي خطف منه الأضواء. وبعض الشذرات في تاريخ المغرب عامّة.

[1]- **يوسف ابن تاشفين:** هو أبو يعقوب بن تاشفين اللَّمتوني، البربري، الملثم ويعرف بأمير المرابطين، وأمير المسلمين وملك الملثمين، ولد بالصحراء سنة 400هـ/ 1009م من قبيلة لمتونة الصنهاجية ،كانت فترة حكمه من 435- 500هـ/1043-1106م، وهو الذي اختطّ مدينة مراكش سنة 465هـ/ 1064م ضمّ الأندلس سنة 487هـ/1094م ، انظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ج7، ص 112، الذهبي: المصدر السابق، ج19، ص252، محمّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس (عصر دول الطوائف مند قيامها حتى الفتح المرابطي)**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1417هـ/1997م،ج2، ص113، وللمزيد أيضا انظر: حامد محمّد خليفة: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقد الأندلس من الصليبيين**، دار القلم، ط1، دمشق، 1424هـ/2003م.

إذن، هو الداعية المجدّد والإمام الخطيب عبد الله بن ياسين[1] ولد من أب صنهاجي[2] يدعى ياسين بن مكوك بن سير بن علي بن ياسين،[3] وأمّ من أهل جزولة تسمى تين يزامارن،[4] ولقّب بالجازولي[5]

[1]- القاضي أبي الفضل عياض بن موسى المحصّبي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرف أعلام مذهب مالك**، تص: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ج2، ص 333، علي بن أبي الزرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تر: كارل يوحنا ترونبرغ، دار الطباعة المدرسية، (د، ط)، أوينسال، 1843م، ص78، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ/2003م، ج2، ص335، أندلسي مجهول: **الحلل الموشية في ذكر أخبار مراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ص 20. أبو عبيد البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، (د، ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د، ت، ط)، ص165، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 243، القيرواني: المصدر السابق، ص102، محمود مقديش: المصدر السابق،451، إذ يذكر في التهميش أنّ الأصل أنّه عبد الله بن أنيس، السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص7، المراكشي: المصدر السابق، ص 217.

[2]- **نسبة لصنهاجة**، وهم الملثّمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالإنفراد، صاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتّخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وغفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كذالة ولمتونة ومسوفة، فوتريكة، فناوكا فزغاوة ثم لمطة، كلهم مابين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبيلة طرابلس وبرقة، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 241، وللمزيد أيضا انظر: ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص119، 120، ألفردبل: المرجع السابق، ص 227، محمّد بن أبوبكر بن حسن الصعب: **الواقع الثقافي الإسلامي للمغرب العربي أثناء دولة المرابطين**، مذكرة ماجيستر تخصص ثقافة اسلامية، محمّد هلال الصادق هلال، جامعة أم القرى، السعودية، (د، ت)، ص 41، (الملحق 03)

[3]- ذكره ابن خلدون بلفظة ابن مكّوا، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص243.

[4]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 165.

[5]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص 333، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص170، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 243، السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص7، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص20.

لذكر بعض المصادر والمؤرّخين أنّه ينتسب إلى قبيلة جزولة الضاربة في أقصى المغرب قرب جبال دَرَن.*[1] (الملحق 04)

أمّا البكري فيذكر أنّه من قرية تسمّى تمامااوت في طرف صحراء مدينة غانة.[2]* ولم تذكر الكتابات والرّاويات عن أطوار حياته إلّا ما كان من استلامه الدعوة، ولم تذكر أنّ والده كان زعيما من الزّعماء أو عالما من كبار العلماء حتّى نقول أنّه تأثّر به، فورّثه مجدا أو علما.[3]

درس العلوم الشرعية والإسلام وتفقّه في المغرب الأقصى على يد شيخه وجّاج بن زلّو اللّمطي[4] في داره التي بناها في السّوس بالعلم والخير وسمّاها دار المرابطين.[5]

ولقد ارتحل إلى الأندلس في عهد ملوك طوائف في طلب العلم والمعرفة، وحصل فيها على علوم كثيرة،[6] فأقام بها سبع سنين، وسكتت التراجم عن ذكر شيء من تعليمه، وعن العلماء

---

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق،ص 124، مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، دار أبي رقاق، ط1، الرباط، 2005، ص183، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 165.

*- **غانة:** تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد ونقارة وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللّملمية وغيرها، انظر: الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص 24.

[2]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 165.

[3]- إبراهيم محمّد حسن الجمل: **الإمام عبد الله بن ياسين الفقيه المفكر والداعية والقائد المجاهد 000- 451هـ**، دار الإصلاح، (د، ط)، السعودية، (د، ت، ط)، ص43.

[4]- **وجّاج بن زلّو**: هو من أهل السوس الأقصى، نشأ في منطقة إدوا سملال بالسوس جنوب مراكش، وبها تربى، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن أعلامها وما حلّ بها من الاعلام، كأبي زيد القيرواني، ثم رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم على الأندلس، فأخذ عن أعلام قرطبة، أسس رباط أوكلوا بلمطة، سماه دار المرابطين لطلبة العلم وقرّاء القرآن، نشر العلم في جنوب مراكش وبرغواطة والصحراء المغربية، ووسط إفريقية، فأسلمت على يده قبائل وشعوب في تلك المنطقة، وكان المصامدة يتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط استسقوا به، انظر: محمد بن أحمد الحضيكي: **طبقات الحضيكي**، تح: أحمد بو مزكو، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1427هـ/2006م، ص593، أبو عباس أحمد بن محمّد بن محمد ابن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي السلوي: **موسوعة التراجم المغربية**، (د، د،ن)، (د، ط)، (د، م، ن)، (د، ت، ط)، ص999، 1000.

[5]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص333، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 165، وقد ذكره بوكاك بن زلو اللمطي، انظر: المجهول الأندلسي: المصدر سابق، ص20.

[6]- المجهول الأندلسي: المصدر سابق، ص20.

والفقهاء الذين تلقّى العلم عنهم وأثّروا فيه، والشيوخ الذين لازمهم وتأثّر بهم.[1] ثمّ عاد إلى المغرب الأقصى حيث شيخه ليمكث هناك.[2]

عرف عنه مفسّرا للقرآن وراويا للحديث، وأنّه قد درس الفقه وفروعه لدرجة أنه يفتي ويتصرف في النصوص بما يتّفق وأصول هذا الدين القويم. ولا يعقل أن يكون كل هذا العلم الغزير كان قد تعلمه في يوم وليلة.*[3]

ثانيا: امتثال بن ياسين للدعوة ودور الأمير الجدالي فيها

إنّ كلّ ما حظِي به ابن ياسين من تعاليم الدين، والتفوّق في كلّ جوانبه، من فقه، وتفسير وحديث، وغيره، جعلت منه الأحسن والأفضل من بين الطلبة اجتهادا ممّن كانوا يقيمون في رباط وجّاج بن زلّو.[4] فكان من الفقهاء النّابهين، ذا رأي وتدبير.[5] فبناءا على مؤهلات قد رآها فيه معلمه، تمّ ترشيحه للقيام بهذه المهمّة، وهو بدوره قام بالامتثال لها.

ولكن قبل هذا برزت شخصية غير الشخصية الرئيسية، وهو يحي ابن إبراهيم الجدالي، والذي كان له الدّور الكبير في ظهور ابن ياسين، وربط اسمه بدولة شملت المغرب والأندلس، فمن هو إبراهيم الجدالي؟ وما الغاية من رحلته؟ وإلى أين كان مقصده بالذات؟

---

[1]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص44.

[2]- المجهول الأندلسي: المصدر سابق، ص20

* المعلومات المتاحة لا تسمح بمعرفة شيوخه هناك، ولا نوع العلوم التي تلقّاها باستثناء إشارات عابرة إلى أخذه الحديث عن أحد العلماء، انظر: عبد الباسط المستعين: **دور الأمير يحي بن إبراهيم والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي في تأسيس دولة المرابطين**، ، مجلة نور الهدى، (د، ج، إ)، العدد 15، المغرب، 2010، ص41.

[3]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص44.

[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص123.

[5]- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: عبد الوهاب الترحيني، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ج24، ص 140.

إنّ القيام بالدور الإنقاذي كان يستلزم مرجعية، وهو ما أكّده ابن خلدون في نظرياته،[1] مثلا: "أنّ الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية، التي كانت لها من عددها، والسبب في ذلك، أنّ الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق..."[2] وهنا يكمن سر يحي ابن إبراهيم الجدالي.[3] فكانت حركته التي قام بها، ما هي إلّا الخطوة أولى في سبيل مشروعه الحضاري الديني، المتمثل في الإصلاح.

وبهذا يذكر أحد الباحثين:"أنّ حركة المرابطين منذ البداية كانت في اتجاه واضح مخطّط،[4] كان مطلوبا فيه من الزعيم القبلي (يحي بن إبراهيم الجدالي)، أن يسلّم زمام عصبيته لإمام سنّي، لكي يشغل هذه العصبية الحية المتأججة في الدفاع عن مشروع مصيري".*[5]

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش: **تاريخ الغرب الإسلامي قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1994م، 57.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 198.

[3]- **يحي ابن إبراهيم الجدالي**: لا نجد له تعريفا كاملا، إلّا ذكر خفيف، اقتصر في ذكر علاقته بابن ياسين. هو يحي ابن ابراهيم الجدالي بن توقورت كبير قبيل الصحراويين في عشر الأربعين وأربعمائة، زعيم قبيلة جداله أو كدالة، استمر على رياسته للصنهاجة وقيادتها في حروبها ضد أعدائها حتى سنة 427هـ/ 1036م، ثم استخلف في الرياسة ولده إبراهيم، انظر: محمّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ، ج4، ص 302، محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص300.

[4]- الرحلة التي قام بها يحي بن إبراهيم الجدالي، ولقائه مع أبي عمران الفاسي، لم تكن مجرّد فكرة عارضة، عنّت للزعيم الجدالي، بقدر ما كانت لقاءً استهدف وضع خطة لمشروع سنّي في الغرب الإسلامي، وإقامة دولة تعمل على ترسيخ جذوره. إذ تسعى إلى تدعيم النّهضة التي حققها الحلف الصنهاجي الثالث، ومحاولة جادة للتتويج هذه النهضة بمشروع سياسي بعيد المدى، سينتهي بتأسيس دولة، وبذلك يعتبر لمرابطون مثّلوا في المغرب الإسلامي ما كان يمثله في المشرق السلاجقة الأتراك، انظر: إبراهيم بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص 59. إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين المجتمع، الدهنيات**، الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993م، ص9، 10.

[5]- محمّد المغراوي: **ملاحظات منهجية حول أصول الحركة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص 29.

ارتاد يحي ابن إبراهيم على عدّة أماكن من مشارق الأرض ومغاربها ومدن الأندلس من قبل، قصد التجارة، أو الحج، أو أغراض أخرى، ومن هنا يتبين أنّه كان لديه صورة واضحة عن الأوضاع.[1] هذا الشيء الذي أحدث في نفسه الإرادة لتغيير وجهة قومه، وأن يقلّص من الفجوة التي كانت بين بيئة المغرب الزاخرة بالحياة العلمية والعقلية الرفيعة، وبيئة الصحراء التي يضلها الجهل والفقر لتعاليم دينهم.[2]

خرج يحي ابن إبراهيم من دياره قاصدا الحج سنة 427هـ/ 1035م،[3] ولكن هذه المرّة كانت له نية أخرى في الخروج بعد إقامة الحج، وهي إظهار الحقيقة لقومه[4]التي يجب أن يكونوا عليها. فاختار بذلك الذهاب والالتقاء بالفقهاء، ليقرر بعد ذلك بشأن قومه. فهذه الحقيقة لا تكتمل عندهم إلاّ برجل أعرف منه في هذه الأمور وأكثر تفقها.

بعد أن انتهى الأمير يحي الجدالي من الحج قفل راجعا إلى المغرب، وفي طريق عودته مرّ بمدينة القيروان[5] حيث حضر مجلس الفقيه أبي عمران الفاسي[1] شيخ المذهب المالكي يومئذ،[2] وكان هذا

---

[1]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص54.

[2]- حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، (د، ط)، القاهرة، (د، ت، ط)، ص 105.

[3]- كان خروجه حسب ذكر المؤرخين على التالي: فالنويري يذكر سنة 450هـ/ 1058م، أمّا ابن الأثير في سنة 448هـ/ 1056م، وابن عذاري وصاحب الحلل يذكران خروجه سنة 440هـ/ 1048م، أمّا ابن الزرع يذكر ما بين 427هـ/ 1035م و 428هـ/ 1036م، والملاحظ أنّ رواية ابن أبي الزرع أقرب إلى الحقيقة، لأنّ كتب التراجم والطبقات تؤكد وفاة أبي عمران في 430هـ/ 1038م. فلابد أن تكون الرحلة قبل هذا، وإلّا كيف تقابل معه بعد وفاته؟ أنظر: النويري: المصدر السابق، ج24، ص 140، ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 328، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 7. المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 19، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 122.

[4]- إبراهيم الجمل: المصدر السابق، ص55، حسن محمود: المرجع السابق، ص 107.

[5]- بعد المحنة العسيرة التي ألمّت بفقهاء المالكية إبّان حكم العبيديين، عرفت بداية القرن الخامس هجري، انتصارا بيّنا للمذهب السنّي، إذ صارت القيروان مركزا فكريا وعلميا واقتصاديا هامّا، ونقطة استقطاب الحجاج المغاربة، انظر: القادري بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص 59.

اللقاء أول الحلول لمعضلته البحثية عن الشخص المنشود لمهمته.[3]

لما تفرّق الجمع من حول أبي عمران الفاسي نظر إلي الأمير الجدالي نظرة الإعجاب، لما لمس فيه من حبه للخير وحرصه على التعلم، فسأله عن بلاده ومن فيها من الخلق وإلى أي مذهب ينتمون، وتحاور معه حول أوضاع قومه وما يعيشوه،[4] فقال:" إنّ معرفتهم في أمور دينهم قليلة، لأنّهم قومٌ منقطعون في الصحراء لا يصل إلى بلادهم إلّا التجار الذين حرفتهم البيع والشراء."[5] ثمّ سأله أن يرسل معه فقيها يعود به إلى قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور،[6] فنصحه بالذهاب إلى أقرب من بلده، أي المغرب الأقصى بنفيس، حيث هناك أحد أفضل وأنجب طلبته، وهو وجّاج بن زلّوا اللّمطي.[7]

---

[1]- **أبو عمران الفاسي**: هو موسى بن عيسى بن أبي الحاج الخفجومي الفاسي نزيل القيروان، تفقه بالقيروان على أبي الحسن القابسي وغيرهم، ثم رحل إلى قرطبة ثم المشرق وأخذ العلم من مصر وبغداد سنة 399هـ/ 1008م ، ثم نزل القيروان وحدّث بها واشتهر ذكره وانتشر علمه وبها مات سنة 429هـ/1037م، انظر: عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي، أبو زيد الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1426هـ، ج3، ص162، 163، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة أبو جعفر الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، (د، ت)، دار الكتاب العربي، (د، ط)، القاهرة، 1997م، ص 457.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص122.

[3]- صاحب كتاب بيوتات فاس هو الوحيد الذي انفرد بالحوار الذي جرى بين الأمير الجدالي وأبي عمران الفاسي، وكان التخطيط واضح من خلال أمر أبي عمران الفاسي للأمير الجدالي بقتال زناتة وبرغواطة، وذلك لن يكون إلّا بتوحيد القبائل. من هنا يتضح التمهيد للدولة، انظر: إسماعيل بن يوسف بن الأحمر: **بيوتات فاس الكبرى**، (د، ت)، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1972م، ص28.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 7.

[5]- النويري: المصدر السابق، ج24، ص140، وللمزيد أيضا انظر: المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 19، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص122، 123، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص165، مع اختلاف في العبارة والتقارب في الدلالة والمعنى.

[6]- إبراهيم الجمل: المصدر السابق، ص55.

[7]- لم يكن اختيار وجّاج بن زلّو اعتباطًا، كما أنّه لم يأتي نتيجة امتناع طلبة أبي عمران الفاسي، وذلك لا يتناسب مع المكانة والاحترام الذي يكنّه هؤلاء لشيخهم، ولا يتلاءم مع ما عرف عن فقهاء المالكية من روح التضحية التي وصلت إلى درجة

وهنا قد التقت مبادئ الزعيم الجدالي مع مبادئ أبي عمران الفاسي حول إيجاد سند ديني للقيام بالمشروع الإصلاحي، وكان دور أبي عمران يكمن في البحث عن الرجل المناسب الذي يؤدّي هذه المهمّة ويسيّرها إلى الأمام.[1]

أرسل معه كتابا، فسلّمه إياه عند وصولة إليه، وكان ذلك سنة 430هـ/ 1038م، محتواه:[2] " السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أمّا بعد، إذا وصلك حامل كتابي هذا هو يحي بن إبراهيم الجدالي، فابعث معه إلى بلاده من تثق بدينه، وورعه، وكثرة علمه، وسياسته، ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، ويفقّهم في دينهم. ولك وله في ذلك الثّواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. والسّلام."[3]

اجتمع الشيخ بتلاميذه وقرأ عليهم الرسالة. ثمّ انتدب منهم عبد الله ابن ياسين لمرافقة الأمير إلى صنهاجة. وقد استحسن الطالب اختيار شيخه وقبله دون تردّد، وخاصّة أنّه ينحدر من هذه القبائل (قبيلة جزولة)[4] فهو أعرف النّاس بأحوال قومه، وأكثرهم إطّلاعا على مواطن الضعف فيهم، وأقدرهم على رأب الصّدع وتقويم المعوجّ.[5]

في الأخير تحقّق للأمير الجدالي ما كان يسعى إليه، بإيجاد الرجل المناسب الذي يقوم بهذه الدعوة الدينية، المتمثلة في الإصلاح وتهيئة الأذهان لمشروع حضاري، فكان على إدراك كبير،

الاستشهاد، فالمسألة ترجع إلى تفكير الرجل في إنجاح دعوته رهين بإيجاد الرجل المناسب، مثل وجاج بن زلّو، الذي كان على دراية واسعة بأحوال السياسة بالمغرب ومتشبعا بالفكر المالكي، انظر: إبراهيم بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 9.

[1]- إبراهيم بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص 61، 62.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 123.

[3]- نفسه، ص78

[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق،ص 123، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2003م،ج10، ص 170.

[5]- عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430- 515هـ/ 1038- 1121م**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ/ 1988م، ص62.

بالسّير على تقليد من سبقه،[1] وكان يعي أنّه حينما تنعدم الحركة، فإنّ المجتمعات تفقد تاريخها، إذ تصبح لا غاية لها.[2]

المبحث الثاني: شخصيته الدعوية

أوّلا: رجل دين

باختيار عبد الله بن ياسين يبدأ عهد جديد في تاريخ شعوب الملثمين،[3] وفي السودان، بل في تاريخ المغرب الإسلامي ككّل. فقد استطاع بما توفّر له من صفات أن يحقّق الآمال التي ساورت يحي بن إبراهيم الجدالي.[4]

وإذا رجعنا للتنظيم السنّي، فنجد في أساليب الدعوة عندهم، لا يلجأون إلى دعاة محترفين مختصّين في فنّ التلقين والاستدراج، وهذا ما قد لاحظناه في الشيعة الإسماعيلية. بل يلجأون إلى العبّاد والنّساك، الذين يؤثّرون في الأتباع بالسلوك والعمل، لا بالقول والجدل، وهذا المنهج الذي برأيهم يوافق ميول المجتمعات الأمية النّاقصة في الدين.[5]

عرف بالرجل المتشدّد في دينه، منزعج من الأمور التي آلت إليها المجتمعات.كانت له دراسة في رباط وجاج بن زلّو، الذي عرف بأحد أعمدة التصوف في المغرب،[6] وهذا الذي شوهد في بن ياسين، بكثرة زهده وقناعته. وصفه ابن أبي الزرع برجل الدّين، والفضل، والتقى والورع.[7]

---

[1]- محمد المغراوي: المرجع السابق، ص 28.

[2]- مالك بن نبي: **ميلاد مجتمع مشكلات الحضارة**، بن مرابط للإصدار، (د، ط)، (د، م، ن)، 2017م ، ص17.

[3]- عرّفت ضمن تعريف قبائل صنهاجة في جزء التعريف بابن ياسين.

[4]- حسن محمود: المرجع السابق، ص113.

[5]- عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 200م، ج2، ص112.

[6]- أحمد شكري: **عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص69.

[7]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 123.

يلبس الخشن من الثياب، ويكتفي من الطعام بأقلّه، ويروّض نفسه على الصبر،[1] فلم يشارك مجتمع الملثمين في حياتهم المعيشية.[2] إذ يذكر البكري أنّه كان متورعا عن أكل لحمانهم وشرب ألبانهم، لمّا كانت أموالهم غير طيبة، وإنمّا كان عيشه من صيد البرية".[3]

"كان متشبّثا بالعمل على تحقيق المصلحة العامة، لذلك كانت سياسته ترتكز على تحقيق الإجماع وفق إقامة السنّة والجماعة، فلا طمع ولا عدوان في سبيل تحقيق غايات آنية فردية، بل كان جهاد، ودعوة سلفية توحيدية."[4]

إنّ صفته الدينية التي وردت في الروايات التاريخية، هي التي أهّلته للدور التاريخي في حياة القبائل الصحراوية، المتفرّقة، والمنافسة على الغلبة، والرياسة، فأنشأ من الشّتات والفرقة، وحدة شاملة، ومن التوحش، والبداوة، والغلظة، حياة تتطلع إلى رسم حضارة بمثل دولة المرابطين.[5]

ثانيا: رجل إصلاح وتغيير

بعد طور من التاريخ، اتضح للمغاربة أنّ الإصلاح لا يمكن أن يأتي من خارج بيئتهم كبضاعة مستوردة[6]، بل لابد أن تنطلق المبادرة منهم من داخلهم، ولابد أن يكون المتزعمون من أبناء البلد الأقحاح، حتى تعطي الدولة كل ثمارها، ويتغلغل مفعولها إلى الأعماق.[7] ولعلّ أشهر هاته المبادرات

[1]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 121.

[2]- عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص 66.

[3]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 165.

[4]- علال الخديمي: **جهاد عبد الله بن ياسين والحركة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص 87.

[5] - علال لخديمي: المرجع السابق، ص 82.

[6]- وهذا تمثّل في دولة الأدارسة والعبيديين...الخ

[7]- محمّد زنبير : المرجع السابق، ص 115.

هي التي قامت عليها دولة المرابطين في القرن الخامس للهجري الحادي عشر ميلادي، والمتمثلة في فقيهها أو مهديها[1] على حسب وصف المؤرخين عبد الله بن ياسين.[2]

أتى بن ياسين بعملية تقويمية إصلاحية، إذ أراد بذلك "ميلاد مجتمع جديد". وهي النظرية التي تحدث عنها وفسرها مالك بن نبي، إذ أنّ المجتمع برأيه هو "الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداءً من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح ميلاد"[3]. والميلاد فسّره بنقطة انطلاقة لحركة التغيير، وقد تبدأ بفرد واحد. وفي هذه الحالة يمثّل نواة المجتمع الوليد.[4] فابن ياسين لم يكتف بتشكيل النواة السياسية والعسكرية. بل في البداية حرص كلّ الحرص أولا على بناء رجال قلّ نظيرهم في الانضباط القيمي والأخلاقي، قبل النجاح العسكري والسياسي.[5]

كان من فقهاء التربية العملية، وأهل الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[6] فأخذ يرسم لنفسه النّهج الذي سيحقّق له الأهداف، من تأليف قلوب، وجمع الشمل على أسس الدين الصحيح، وخطى المذهب المالكي،[7] الذي أصبح خطّا إيديولوجيا وحدويا، وسندا يعطي مشروعية التحكّم في الاتّجاه الوحدوي الإصلاحي.[8]

بذلك كان له دوران؛"دور قنع فيه بالدعوة السلمية، وآخر امتشق فيه الحسام، وأعلن الجهاد؛ ودور خاض فيه حومة الوغي في سبيل تحقيق غايته، وإتمام رسالته."[9] يؤكد حسن محمود أنّ من

---

[1]- استعملت في حق عبد اله بن ياسين عبارة مهدي المرابطين من لدن بعض المؤرخين لأن عمله يشبه من عدّة وجوه الحركة المهدوية، إلّا أنّ المذهب الذي دعا إليه هو الرجوع إلى السنة بحسب المذهب المالكي. ومن ثمّ فهو على طرفي نقيض مع الدعوة الفاطمية ومضمونها المذهبي والتي ترتكز هي أيضا على فكرة المهدوية، انظر: محمّد زنبير: المرجع السابق، ص 115.

[2]- نفسه، ص115.

[3]- مالك بن نبي: المرجع السابق، ص15.

[4] مالك بن نبي: المرجع السابق، ص15.

[5]- عبد الباسط المستعين: **السلطة في تصور الفقهاء وسلوكهم في تاريخ المغرب نموذج عبد الله بن ياسين إمام دعوة المرابطين**، مجلة منار الهدى، (د، ج، إ)، العدد 15، المغرب، 2015م، ص 39.

[6]- محمّد بنشريفة: **حول كتابة سيرة محررة لعبد الله بن ياسين**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص 12.

[7]- عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص 65.

[8]- إبراهيم بوتشيش: تاريخ الغرب الإسلامي، ص 75.

[9]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 119.

"هذه الناحية يتّفق مع طبائع الأشياء، ومع الدعوات المماثلة التي عرفها التاريخ، دعوات المصلحين من رجال الدين الذين يسالمون ويعتمدون على القول، حتّى إذا خذلهم الناس، استلّوا السيوف بعد تأليف قلوب الأنصار وحشد المؤّيدين لحلبة الكفاح".[1]

بذلك كانت له اجتهادات رآها صائبة لإصلاح حال الجماعة التي دعي إلى تفقيهها وإرشادها.[2]وكان الرباط أحد هذه الاجتهادات التي من بين أهدافه، العمل على التغيير والإصلاح للمجتمع كلّما سمحت له الظروف، فكان عبارة عن مدرسة يتربّى فيها الفرد وفق الغاية التي من أجلها أقيم الرباط.[3]

أشهر حربا لا هوادة فيها على الانحراف العقدي والديني،[4] ممّا خصّص البكري عنوان في كتابه يبرز ذلك " ما اشتدّ فيه عبد الله بن ياسين من أحكام."[5] وقد عقّب عليه الفقيه الحجوي[6] في ترجمته لابن ياسين في كتابه الفكر الإسلامي" وهي وإن صحّت مسائل سياسية إرهابيه أكثر منها أحكاما فقهية، لأنّ الرجل كان يهذّب أمّة بلغت نهاية ما يتصوّر من التوّحش والجفاء، فهو معذور في شذوذه، ولا يزيل التّطرف في الإباحة وخلع ربقة النظام الديني، إلّا التطرف في ضدّه، على أنّ الرجل نجح نجاحا باهرا في عمله العظيم، وهداية تلك الأمّة إلى النّهج القويم."[7]

---

[1]- نفسه، ص 119.

[2]- محمّد بنشريفة: المرجع السابق، ص 12.

[3]- محمّد العناوي: **معالم الزعامة والوحدة في حركة عبد الله بن ياسين**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص 59.

[4]- إبراهيم حركات: **تقديم الندوة**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص 5

[5]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، ص 169.

[6]- **الفقيه الحجوي**: هو محمّد بن الحسن بن العربيّ بن محمّد الحجوي الثعالبي الجعفري الفلالي من رجال العلم والحكم، من المالكية السلفية في المغرب. من أهل فاس، سكن مكناسة وجدة والرباط. ودرس في القرويين. له كتب مطبوعة، أجلها (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي) أربعة أجزاء، و (ثلاث رسائل في الدين) و (المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم الفتيات في الديار المغربية) أحدث ضجة، وأتى بفائدة، و (التعاضد المتين بين العقل والعلم. توفي بالرباط ودفن بفاس سنة 1376هـ/ 1956م، انظر: الزركلي: المصدر السابق، ج6، ص69.

[7]- محمّد بن الحسن بن العربيّ بن محمّد الحجوي الثعالبي الجعفري: **الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1416هـ/ 1995م، ج2، ص 246.

أراد بن ياسين ميلاد مجتمع جديد، بهوية جديدة، فكان ذلك انطلاقا من شخصيته هو، واستنادا على مشروعية المذهب المالكي، فربط بين "الوحدة الثلاثية المتمثلة في الدين، والمذهب، ومجتمع متكامل، الذي تضبطه شؤون دولة واحدة."[1]

المبحث الثاني: الأساس العملي عند عبد الله بن ياسين

أوّلا: دراسة لرباط بن ياسين

اصطدمت تجربة عبد الله بن ياسين الأولى بالمعارضة والمقاومة والانقلاب كأيّ داعية من قبل،[2] فمحاولته الإصلاحية لم تكن مهمّة سهلة، بل اعترضتها صعوبات ومخاطر كادت أن تنهي حياته وحركته قبل بدايتها.[3] ولقد حمل لواء هذه المعارضة أحد الفقهاء[4] "يدعى الجوهر بن سكم مع رجلين من كبارهم يقال لأحدهما أيّار والآخر اينتيكو، فعزلوه عن الرأي والمشورة، واستعادوا منه بيت مالهم وطردوه، وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من أثاث."[5]

لاشكّ أنّ عملية الإصلاح هذه قد مسّت زعماء القبائل، بما فيهم الفقهاء بمصالحهم الاقتصادية ومكانتهم الاجتماعية، فهي لم توافق أهدافهم، ولا الفوارق في مجتمعهم،[6] فكان

[1]- إبراهيم حركات: المرجع السابق، ص 5.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش: **حول رباط عبد الله بن ياسين**، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد 11، الرباط، ربيع الأول 1398هـ/مارس 1978م، 355.

[3]- محمّد العنّاوي: المرجع السابق، ص 57.

[4]- عصمت دندش: حول رباط بن ياسين، ص 355.

[5]- البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص 164، أمّا ابن الأثير والقاضي عياض والنّويري، وابن الوردي والذهبي يذكرون على أنّه الجوهر بن سكم، هو من أتى بابن ياسين، انظر: ابن الأثيرّ: المصدر السابق، ج8، ص 328، القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص 333، النّويري: المصدر السابق، ج24، ص 141، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج10، ص 170، عمر بن مظفر بن عمر بن محمّد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين ابن الوردي المعري الكندي: **تاريخ ابن الوردي**، (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ- 1996م، ج1، ص 345.

[6]- محمّد العنّاوي: المرجع السابق، 58.

رفضهم لها، سببه تخوفهم من إقصاء مكانتهم في هذا المجتمع، وتحريم ما استحبّوه، فلم يعد لابن ياسين مكان بينهم بعد كلّ ما لقيه منهم، ليدفع به للخروج من جدالة، والرحيل إلى بلاد السودان.[1]

إلّا أنّ يحي بن إبراهيم لم يهن عليه أمر عبد الله،[2] فقال له:"إنّي لأتركك تتصرّف، وإنّما أتيت بك لأنتفع بعملك في خاصّة نفسي وديني، وما عليّ فيمن ضلّ من قومي،"[3] ليشير إليه بعد ذلك بأنّه يعرف مكانا جيّدا لإقامته فيه،[4] فقال له: ولكن يا سيدي، هل لّك في رأيّ أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة، قال: وما هو؟ قال: إنّ هاهنا في بلادنا جزيرة بالبحر، إذ انحصر البحر دخلنا إليها على أقدامنا وإذا امتلأ دخلناها بالزوارق، وفيها الحلال المحض الذي لاشكّ فيه من أشجار البرية، وصيد البر، وأصناف الطير والوحش والحوت، فندخل إليها فنعيش فيها بالحلال، ونعبد الله تعالى حتّى نموت. فقال له عبد الله بن ياسين: هذا أحسن، فهلمّ بنا ندخلها على اسم الله."[5]

وبمجمل هذه الإغراءات التي قدّمها يحي بن إبراهيم، وافق عبد الله بن ياسين على هذا الطلب، إذ تؤكّد هذه الإغراءات أنّ الفترة التي قضاها يحي بن إبراهيم مع ابن ياسين جعلته يفهم شخصية عبد الله، ويدرك نفسه الميّالة إلى الربط والتعوّد على الحياة فيها.[6] ولهذا كان من السّهل عليه إقناعه، فاستعمل كلّ ما يقدر عليه لاستدراجه لهذا المكان، وذلك لأنّه يدرك أنّ هذا المكان هو بغية عبد الله بن ياسين. وبهذا تبدأ مرحلة جديدة مخالفة للأولى، فكيف ستكون هذه المرحلة؟ وما الذي يميّزها عن سابقتها؟ وهل ستعطي هذه المرحلة نتيجة إيجابية؟ أم أنّها ستبوء بالفشل مثل التي قبلها؟

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124.
[2]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 76.
[3]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124.
[4]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 76.
[5]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124، 125.
[6]- عصمت دندش: حول رباط بن ياسين، ص 357.

غادر ابن ياسين ديار الملثّمين مع الأمير الجدالي إلى حوض نهر السنغال للمرابطة في الجزيرة التي اختارها الأمير هو وقلّة من أتباعه،[1] يقول عنها ابن خلدون:"انتدب النّاس بربوة يحيط بحر النيل في جهاتها ضحضاحا في المصيف، وغمرا في الشتاء، فتعود جزرا منقطعة."[2] وهناك أسّس رباطا للعبادة،[3] لينظر في الخطإ الموجود في هذه القبائل، وليعالج الخلل عندهم الذي نتج عن مؤامرة أعيان الملثمين، والتعاون في إخراجه من عندهم.[4]

وبذكرنا رباط ابن ياسين، فإنّ الرباط بمفهوم عام شكّل في التاريخ المجتمع الإسلامي عامّة والمجتمع المغربي خاصّة أهمّية عظمى، إذ لا يمكن قراءة تاريخ المغرب، وخاصّة دولة المرابطين دون الإحساس بثقل وزنه وأهميّته في نحت أهمّ محطّات صيرورته، نظرا لما يحمله من شحنة دينية، تجسّدت في التصدّي للبدع.[5] وقبل الحديث عن رباط بن ياسين، وجب علينا التطرّق لتعريف الرباط عامّة، وعن مهامّ الربط. فما هو الرباط بصفة عامّة؟ وماهي مكانة رباط بن ياسين بين الربط بصفة خاصّة؟

أ/ تعريف الرباط

لغة:

"الرّباط يُشتَقُ من فِعل ربَطَ، رَبَطَ الشّيء يَرْبِطُهُ أي يَرْبِطُهُ رِباطًا، فهو مَربوطٌ ورَبيطٌ، والرِّباطُ ما رُبط به، والجَمْعُ رُبُط، ورَبْطُ الدَّابَّةِ يَربِطُها، ويَرْبِطُها رَبْطًا وارتبطَهَا. وفلان يرْتَبِط كذا رَأسًا من

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 125، حرون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م، ص 23.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 243

[3]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 125، عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 23.

[4]- عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 23.

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: **رباط عبد الله بن ياسين الإستراتيجية وتجديد النسق**، ضمن ندوة ورباطات وزوايا في المغرب، تنسيق: أحمد الوارث، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، ص64.

الدَّوابِّ ودَابّة رَبِيط مَربوطَة، المَربط والمِربط مَارَبَطَهَا به، والمَربطُ والمُربَطُ موضع رَبْطِها وهو من الظروف المخصوصة ولا يجري مجرى منزلة الولد ومَنَاطَ الثُّرَيّة."[1]

وفي كتاب تفسير القرطبي قال: "وَمِنْ رُبُطِ الْخَيْلِ" بِضَمِّ الرَّاءِ وَالْبَاءِ، جَمْعُ رِبَاطٍ، كَكِتَابٍ وَكُتُبٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ: الرِّبَاطُ مِنَ الْخَيْلِ الْخَمْسُ فَمَا فَوْقَهَا، وَجَمَاعَتُهُ رُبُطٌ. وَهِيَ الَّتِي تَرْتَبِطُ، يُقَالُ مِنْهُ: رَبَطَ يَرْبِطُ رَبْطًا. وَارْتَبَطَ يَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا. وَمَرْبِطُ الْخَيْلِ وَمَرَابِطُهَا وَهِيَ ارْتِبَاطُهَا بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ."[2]

اصطلاحا:

"يشترك مفهوم الرباط، وتلازم معناه الحقيقي بإعداد الخيول قبل أن يتطوّر إلى مفهوم الثغر، أو الرباط والمرابطة، أي ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كلاّ من الفريقين خيله، وربّما سمّيت الخيل أنفسها رباطا، والرّباط المواظبة على الأمر[3]، ورابطوا فيها قولان: قيل رابطوا على الجهاد، والثاني رابطوا على انتظار الصلوات.[4]

وفي الحديث عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال:« **ألا أذلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»،[5] قوله عزّ

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن المنظور الإفريقي المصري: **لسان العرب**، (د، ت)، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ص 1560.

[2]- أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1384هـ/ 1964م، ج 8، ص36.

[3]- ابن المنظور: المصدر السابق، ص1560.

[4]- أبو بكر بن محمّد بن محمّد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي: **سراج الملوك**، (د، ت)، اوائل المطبوعات العربية، (د، ط)، مصر، 1289هـ/ 1872م، ص 97.

[5]- أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **مختصر صحيح مسلم**، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية، (د، ط)، بيروت، 1971م، ص62.

وجل: ﴿**يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابرو ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ [سورة آل عمران: 200]، فأخذت كلمة الرباط من هذه الآية.[1]

الرّباط في الأصل الإقامة على جهاد العدوّ بالحرب وارتباط الخيل وإعداده، فالّرباط هو المواظبة على الطهارة والصلاة، كالجهاد في سبيل الله، والرُبُط أبنية كانت تقام، وتحضّر وتملأ بالرجال والعدد والمعدّات والخيول لملاقاة العدو، الذي يحاول أن يُغِير على ثغور البلاد،[2] والرِّباط حصن حربي يقام في الثغور لمواجهة العدوّ.[3]

لقد ارتبط مفهوم الرّباط في الإسلام دائما بالمرجعية الدينية التي كانت تهدف من خلاله تأسيس مبدأ الحماية والمدافعة، والتحصين ضد تحرشات أعداء الإسلام، وهو ما تجلّى في الآية السابقة.[4]

ب/ الرباط عند ابن ياسين

أمّا الرّباط بالنسبة لابن ياسين في مرحلته الأولى، فهو الانقطاع للعبادة في مكان،[5] متّبعا في ذلك سنّة معلمّه وجّاج بن زلّو اللّمطي مؤسّس رباط نفيس.[6] وظلّ عبد الله بن ياسين مرابطا هناك مدّة من الزمن، وكان معه سبعة من النّفر،[7] لينتقل بعدها من دور المصلح إلى دور المعلّم، يعلّم من

[1]- ابن منظور: المصدر السابق،ص 1561.

[2]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 77.

[3]- عباس نصر الله: المرجع السابق، ص 23.

[4]- إبراهيم بوتشيش: رباط عبد الله بن ياسين، ص65.

[5]- يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجاملة، (د، ط)، الجزائر، 2007م، ج1، ص 176.

[6]- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص333، الأندلسي المجهول: المصدر السابق، ص 20، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 165.

[7]- محمّد سعيد القشاط: **التوارق عرب صحراء الكبرى**، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط2، القاهرة، 1989م، ص 165.

كان معه دينهم من قراءة القرآن، والسنة، والتفسير وما إلى ذلك. فيلقّنهم من علمه، حتّى يكونوا جاهزين.

تعلّموا العلم الشرعي على يديه، وكانوا في الوقت نفسه هم المبعوثين الذين بعث بهم إلى ديار القبائل لتحدّث الناس بخبره،[1] ويجلبون معهم الشباب إلى الرباط، فيتكوّن وفد جديد من كلّ القبائل المجاورة. وهذا ليكّون منهم مجتمعا صالحا يستطيع أن يتحدّى بهم الخارجيين عن الشريعة، وأن ينفّذ حدود الله برجال وهبوا أرواحهم له.[2] وكانت هذه نقطة البداية ليقوم بواجبه على أكمل وجه، بحركته التي بثّها في حوض السنغال.

كانت الحياة في الرباط جماعية تعاونية، يتعاون فيه النسّاك تعاونا وثيقا، للاضطلاع بأعباء الحياة،[3] فكانت حياتهم بسيطة متواضعة خشنة، إذ كانت عيشتهم عبارة عن الاكتفاء بالطعام بأقل القليل وارتداء الخشن من الثياب، فهم مخلصون لا يبتغون غير الدار الآخرة،[4] متعاونون في سبيل الله، آلوا على أنفسهم ألاّ يغادروا الرباط، وأن يقضوا العمر فيه متعبّدين متنسّكين، ولا يغادروا إلّا لنشر الخير والصلاح في ربوع أوطانهم وقبائلهم. وكان توافد الناس إلى الرباط بعد ذلك من صنيعتهم واجتهادهم في إتقان أعمالهم،[5] فبلغ عدد المريدين أو المرابطين بحوض السنغال ألفا.[6]

لمّا كثر أنصاره وتزايد عددهم، وقد صاروا بدل الخيمة خياما وبدل الفئة صاروا قوما، على هذا النّحو بدأ رباط السنغال ليدخل في طور جديد من أطوار نموه، وأيقن عبد الله بن ياسين، أنّ

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص125.
[2]- إبراهيم بوتشيش: رباط عبد الله بن ياسين، ص73.
[3]- حسن محمود: المرجع السابق، ص141.
[4]- عصمت دندش: حول رباط عبد الله بن ياسين، ص361.
[5]حسن محمود: المرجع السابق، ص 141.
[6]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص125.

هذه العصبة المرابطة قد تكون عنصرا فعّالا في هذا المجتمع لو حسن إعدادهم وتهيئتهم لذلك الهدف العظيم، الذي يسعى إلى تحقيقه، وهو توحيد قبائل الملثّمين.[1] (الملحق03)

لم يكن التلقين المذهبي لهذه الفئة كافيا، بل كان لابدّ من التدريب العسكري ووضع دستور، يكون محلّ احترام وتطبيق. فعلى الرّاغب في الانخراط قبل الانتماء والحصول على العضوية، أن يخضع للاختبار حول مدى استعداده للدخول في حياة الرباط، فيشترط عليه قبول إقامة الحدّ عن كلّ ما ارتكبه من حياته السابقة من ذنوب، وذلك بغية إعداد إحداث قطيعة مع الحياة السابقة، أو بداية حياة جديدة خالية من الشوائب. وهنا يلتقي فكر عبد الله مع الفكر الصوفي في التشديد العقابي الذي كان يلاحق المذنب قبل دخوله في حياة الرباط.[2]

لقد ابتكر عبد الله بن ياسين أهدافا وغايات غير مسبوقة في تاريخ الرّبط، إذ لم يجعل رباطه على نفس الطراز الذي كان يميّز الرُبط المنتشرة بإفريقية والساحل المتوسّطي الإسلامي، والتي كانت تنحصر في شحنها بالمعدّات الحربية والخيول لمواجهة الأخطار المسيحية فحسب،[3] ولا هو مكان للاتّجاه فيه إلى الله عن طريق العبادة والتفاني في التقرّب من الذات الإلهية مفرطين في الزهد والتقشّف والورع، فيقضون أوقاتهم في العبادة ليلا ونهارا، ويتركون أعمالهم وصنيعتهم للعيش في الرباط، فلا يخرجون منه إلّا لمثواهم الأخير. فكانت هذه هي معيشتهم ينتظرون موتهم.[4] لتقتصر حياتهم على الأسلوب السلمي والاكتفاء بجموع المنخرطين فقط.[5]

أمّا بن ياسين فقد"جمع رباطه بين إيجابيات النّموذج المؤسّس على الإستراتيجية الدفاعية المعتمدة على استعمال السلاح، وإستراتيجية التلقين والتدريس والتشبّع بثقافة الرّبط، لكنّه أضاف إلى النموذجين معا ما كانت تتطلبه الظرفية التاريخية من ضرورة تجنيد المجتمع برمّته للقيام بإصلاح

[1]- أحمد شكري: المرجع السابق،ص 80، حسن محمود: المرجع السابق، ص142، 145.

[2]- إبراهيم بوتشيش : رباط عبد الله بن ياسين، ص 71.

[3]- نفسه، ص73.

[4]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص80.

[5]- إبراهيم بوتشيش: رباط عبد الله بن ياسين، ص 73.

سياسي عن طريق قلب النظام السائد بالقوة، وإحلال نظام عادل مكانه، وتوحيد البلاد وجعل الرباط منطلقا للوحدة المركزية، وتلك تجربة فريدة لم تتبنّاها الربط المغربية من قبل."[1]

وبهذا استأثر رباط عبد الله بن ياسين بأن لعب دورا مهمّا من ثلاث نواح: إذ كان المؤمنون يتلقّون فيه العلم، ويتعبّدون فيه ويتطلّعون إلى جهاد المشركين، ويقضون على عنصر الفتنة في المغرب.[2]

فابن ياسين لم يسرع في الخروج من الرباط للجهاد، بل كان متريّثا ينتظر الوقت المناسب لذلك، وهو متفان في تدريبهم وتعليمهم، وكثرة هؤلاء المريدين توجّب عليه قيادتهم بطريقة صحيحة. وما كان ليستطيع ذلك وحده في قيادتهم في المجالات الدينية والعسكرية معا، فكان لابدّ له في المقابل أن يساعده أحدهم في التنفيذ، ويقف إلى جانبه في قيادة الجيش، ينظّمه ويتولّى أمره، ويتفرّغ هو للتكوين العام من إصلاح وتعاليم دينه.[3] فبدأ ابن ياسين بحثّهم على الجهاد في سبيل الله، والوعظ والنّهوض بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.[4]

فاختار إلى جانبه أميرا بالقيادة ليتولّى النّظر في الحروب،[5] وأضفى عليه لقب أمير المسلمين.[6] وبذلك كان رباط السنغال مدرسة، ومعبدا، وحصنا، ونواة دولة، لعبت دورا بعيد الأثر في تاريخ المغرب والأندلس.

فهاهو يستعدّ الآن لخوض الجهاد ضدّ المعارضين، فتكون البداية التي سيتمحور عليها بناء دولة (الملحق 06) تهدف إلى الحقّ، ونصرة المظلوم، وقتال الظالم، وخاصّة المبتعدين عن دينهم،

---

[1]- نفسه، ص73.

[2]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص83.

[3]- عبد الباسط المستعين: المرجع السابق، ص47.

[4]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 83.

[5]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 127.

[6]- عند القاضي عياض والنويري نجده قد ذكره بأمير المسلمين، أمّا ابن عذاري فنجده يذكره بأمير الحق، انظر: القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص333، النويري: المصدر السابق: ج24، ص 141، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص12.

ليطبّق قوله تعالى: ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفّ إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾ [الأنفال: 60] فكانت شرارة الرباط هي التي ستشعل نار الجهاد في نفوس المرابطين.[1]

رغم المكانة التي حظي بها رباط ابن ياسين، بأنّه تجربة جديدة في تاريخ الرّبط الإسلامية، لكونه جمع بين حياة الرّبط المحصّنة، والدعوة المذهبية، ليترتّب عنه قيام دولة شأنها شأن الدول العظمى، إلاّ أنّنا لا نجد له ذكراً أو أثراً بعد وفاة بن ياسين، فلقد سكتت عنه الروايات بمجرّد وفاة مؤسسه.

ثانيا: التوحيد ثمّ التحرير

أ/ توحيد القبائل

بعد الجهود التي بذلها ابن ياسين في تكوين رباطه وذلك باكتمال كلّ جوانبه، في الشرائع الدينية من عبادة، وتثقيف ديني، وتكوين مذهبي، فضلا عن التدريب الصارم في الجانب العسكري لخوض المعارك التي تنتظر المنخرطين فيه.[2]

بهذا أصبح رباط ابن ياسين العنصر الفعّال في هذه الصحراء[3] فلم يكن يرى أنّ الإسلام عبادة في أركان الزوايا وحسب، ولكنه كان يدرك أن استئصال الباطل إنّما يكمن في هدّ حصونه، وتشتيت زمرته.[4]

[1]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 83.

[2]- إبراهيم بوتشيش: رباط عبد الله بن ياسين، ص72، 73.

[3]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 142.

[4]- عبد الباسط المستعين: المرجع السابق، ص46.

فلمّا استجمع العدد قام فيهم خطيبا، أمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم أجره. ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة.[1] وقال لهم:

يا معشر المرابطين إنّكم جمع كثير، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم، وتأمروا بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتجاهدوا في سبيل الله حقّ جهاده."[2]

فأطاعوه... وقالوا له مرنا، فأمرهم بالانتشار في قبائلهم كآخر مرّة ونهيهم، وأن يطيعوا الله، فإن لم يستجيبوا فسيكون مصيرهم القتال. فلمّا ذهبوا إليهم أبوا ذلك وتمادوا،[3] فخرج إليهم بنفسه وقام بجمع أشياخ القبائل ورؤسائهم، وراح يعظهم ويلقي عليه حجة الله، ويدعوهم للتوبة، فخوّفهم من غضب الله وعقابه، فأقام فيه ينذرهم سبعة أيام وهم في ذلك لا يلتفتون، وفي طغيانهم مستمرون فيما هم عليه، فلمّا يئس منهم أمر بغزوهم وجهادهم.[4]

وبذلك ينتهي زمن اللّين والموعظة الحسنة والحجّة والإقناع، ليحين بعدها زمن السلاح والجهاد، وإعادتهم إلى الدين الصحيح طوعا وكراهية بالسلاح والقوّة والشدّة والقتال.[5]

وكان لابدّ من هذا التطوّر الطبيعي لهذه الدعوة التي بثّها، وهذه الرسالة التي اضطلع بها. وهو الشروع في الجهاد، فبدل الحديث بلسانه فضّل الطريق الآخر في سلّ سيفه ومريديه على كلمة الباطل وإعلاء كلمة الحق، والأخذ بما يقوله[6] سبحانه وتعالى: ﴿**وجاهدوا في الله حقّ جهاده**﴾[

---

[1]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص84.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 125.

[3]- نفسه، ص125، 126.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص273.

[5]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص86.

[6]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 145.

الحج: 78]، فكان هذا النداء هو الخطوة الأولى في تاريخ جهاد المرابطين، وكان لابد من أن يبدأ المرابطون نشر دعوتهم بين تلك القبائل التي تمرّدت على وعظ وإصلاح بن ياسين.[1]

كانت البداية مع قبيلة جداله فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين، وانهزموا بين يديه، وقتل منهم الكثير وأسلم الباقون إسلاما جديدا، وحسنت حالهم، وأدّوا ما يلزمهم من جميع ما فرض الله عليهم وذلك في شهر صفر سنة 434هـ/ 1042م.[2] وبعدها أتى قبيلة لمتونه فقاتلهم حتّى أذعنوا إلى الطاعة وتابوا، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة. وبعدها مسوفة فكان أمرها مثل التي سبقتها من جداله ولمتونه.[3](الملحق03)

لمّا رأت القبائل الصنهاجية انتصارات بن ياسين سارعوا إلى التوبة، وأقرّوا له بالسمع والطاعة. وكان كل من أقبل إليه تائبا منهم طهّره بأن يضربه مئة سوط، ثمّ يعلمه القرآن وشرائع الإسلام، ويأمره بالصلاة والزكاة وإخراج العشر.[4] وكان يملي لهم ما توجّب عليهم في حقّ ربهم. فأقاموا الشعائر الدينية الصحيحة على أتمّ وجه حتّى أنابوا إلى الحقّ واستقاموا على الطريقة.[5] ووضع بيت مال يجمع فيه الزكاة والعشر، وأنفق منه ليرتّب منه الجيوش، ويشتري السلاح، ويغزو القبائل.[6] وكان هذا النصر المتتابع مدعاه لبقية القبائل على الانضمام إليه، والانطواء تحت لوائه.[7]

على اثر ذلك تمّت مبايعة بن ياسين كإمام لصنهاجة، في حين احتفظ الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي بشكل صوري بمنصب إمارة الجند،[8] فاختفى وتلاشى التعصّب القبلي، وظهرت أخوة الإسلام على الأعداء، والمساواة على التفرقة، والجهاد على ما سواه، وكان هذا هو المطلوب. فأقام

[1]–حسن علي: المرجع السابق، ص 22.
[2]– ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 126.
[3]– السلاوي: المصدر السابق، ج 2،ص 9.
[4]– ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 126.
[5]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 243.
[6]– ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 126.
[7]– حسن علي: المرجع السابق، ص 22.
[8]– أحمد شكري: المرجع السابق، ص 80.

بتموين الجيش، وكذا أرسل ممّا اجتمع عنده من مال إلى طلبة المصامدة وقضاتها[1] حسب ما يراه الإسلام والداعية، الذي أكّد على الوحدة بين القبائل، ونبذ الخلاف، والانضمام إلى القوّة التي سيصلح بها المغرب.

وتآلفت القلوب، وانتشرت أخبار الاتّحاد في الصحراء والبلاد المغربية، وغطّت هذه الفئة أخبار الداعية الملهم الذي أتى على غير مثال، وصنع ما يعجز عنه الولاة والحكّام، وأمسك بمصباح الأمان ليستمدّ نوره من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الأعظم وصحابته.[2]وفي خلال هذه الفترة وقع حادث له مغزاه، إذ خسر المرابطون أهم الشخصيات الرئيسية في هذه الحركة المجيدة، وهو الأمير يحي ابن إبراهيم الجدالي الذي وافته المنيّة، وبهّذا تنتقل السلطة العسكرية من قبيلة جداله إلى قبيلة لمتونه.[3](الملحق03)

وكانت أكثر قبائل صنهاجة طاعة له، ودينا وصلاحا، فأراد عبد الله تكريمهم، وتشريفهم بتقديمهم عن قبائل صنهاجة.[4] إذ كانت قبيلة لمتونه تتّمتع بمكانة مرموقة في مجتمع الملثّمين، فضلا عن سيطرتها على الطرق التجارية الساحلية ممّا اكسبها ثروة وغنى، واحتفاظها بالزعامة في أمرها ممّا يقارب القرنين،[5] وكانت هي الأخرى كما يقول البكري:" في قتال قومها شدّة وجلد ليس لغيره، وهم يختارون الموت عن الانهزام... وكانوا يعتمدون على صنفين من المقاتلين، يعتمدون على الرجال وعلى الأبّالة الذين يقاتلون على النّجب التي تقوم في القتال مقام الخيل، وكانوا يجعلون المشاة صفوفا...وكانوا يقدّمون أمام الصف رجلا بيده الرّاية، ويقفون ما وقفت منتصبة، وإن أمالها إلى الأرض جلسوا جميعا، فكانوا أثبت من الجدار."[6] بهذا اختار بن ياسين يحي بن

[1]- عصمت دندش: دور المرابطين، المرجع السابق، ص 78.
[2]- ابراهيم الجمل: المرجع السابق، ص ص 97، 101.
[3]- حسن علي: المرجع السابق، ص 22.
[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 126.
[5]- حسن علي: المرجع السابق، ص 23.
[6]- البكري: المصدر السابق، ص 166، مؤلف الأندلسي: المصدر السابق، ص 21، 22.

عمر اللّمتوني[1] 440هـ/ 1048م، وأمره على سائرهم، فلابد أنّ عبد الله بن ياسين كان ثاقب البصيرة، فهو على يقين بما اختاره، لأنّ هذا الاختيار سيفتح له آفاقاً كبيرة في الجهاد، وتكون لمتونه اليد الضاربة على خصومهم، وهكذا كان اختياره موفقاً.

واصل ابن ياسين الفتح في الصحراء الكبرى وتوحيد القبائل فيها خاصّة، وفي المغرب عامّة من حوله، فكان لنصره صدى كبيرا في الصحراء. وبدأ الجهاد يتّسع على جغرافية المغرب،[2] فعلى المستوى السياسي نجده يجتهد في إقصاء الزعامات الجدالية من قيادة الحزب الصنهاجي، وخاصّة بعد وفاة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي وتعوضيه بيحي بن عمر اللمتوني، الشيء الذي كان له أثر واضح في توجّه الحركة المرابطية نحو الشمال، وبالتّالي فقدانها لمساندة جدالة لها في مشروع فتح وتمهيد المغرب.[3]

ب/ تحرير القبائل

لم يمر عقد من السنين على نشأة حركة عبد الله بن ياسين بين قبائل الصحراء حتّى اشتدّ عود زعيمها الروحي، كما هو الشأن بالنسبة لعصبية صنهاجة، التي توحّدت وقويت، وأصبح خبرها يعمّ الأفاق ويحسب لها حساب.[4] فلقد قدّرت قبائل صنهاجة المسؤولية العظيمة الواقعة على عاتقها في مهمّتها مع بن ياسين تجاه الإسلام، والتي كانت تودّ أن تعرضه لكلّ العالم، وخاصّة

[1]- **يحي بن عمر الّمتوني**: اختاره عبد الله بن ياسين لقيادة الجيوش تحت رأيه ونظره، فاستولى على سجلماسة وملك السوس بأسره، ثمّ امتلك بلاد المصامدة وفتح بلاد أغمات وتادلة وتامسنا سنة 449هـ/ 1057م، وقاتل البجلية وقبائل برغواطة، وكان في كل هذا إلى جانب سيده عبد الله ابن ياسين، أنظر: الزركلي: المصدر السابق، ج2،ص68.

[2]- عصمت دندش: دور المرابطين، المرجع السابق ص 78.

[3]- أحمد شكري: المرجع السابق، ص 80.

[4]- محمّد العنّاوي: المرجع السابق، ص 62.

دول الجنوب والشمال، ومؤمنة منذ البداية إيمانا سابقا بإعداد الجهاد المقدّس، وبثّ الدعوة الإسلامية في كافّة أرجاء الغرب الإسلامي.[1]

فهاهو صيت ابن ياسين الذي كان بالأمس القريب قابعا في رباط أوكلو بالسوس الأقصى، قد ذاع في الأفاق وصار مطمح الأنفس لموطنه الأصلي، لتتعالى بذلك الأصوات للاستنجاد به من جور الأمراء المحليّين وتحريرهم من بطشهم.[2] فهل اتساع رقعة هذه الحركة كان لمعاملة ابن ياسين الحسنة الطيبة وجهده مع المناصرين، أم لخشونة معاملة الحكّام بشعوبهم؟

بخطى ثابتة بدأ ابن ياسين زيادة توسّع حركته في المغرب، ليتخطّى نداء الدعوة من الرباط والقبائل إلى دعوة توحيد بين المغرب والأندلس.[3] فبدأ أوّلا بمملكة غانا[4]، فهي لازالت قوية تسيطر على مدينة أودغشت وتتحكّم في الطرق التجارية التي تجتاز الصحراء،[5] فكان لابد من ضمّهم. فاتّجه نحو الشرق منحنى النيجر صوب مدينة أودغشت،[6] فغزاها هي وغانا وأخضعها له سنة 446هـ/ 1054م[7] ليأمن شرّها بعد ذلك[8] ويسيطر على الطرق التجارية الصحراوية. فانتشر الدين الإسلامي في هذه الربوع.

---

[1]- عباس الجرارى: **دولة المرابطين**، مجلة دراسات إفريقية للبحوث نصف سنوية، كلية الأدب جامعة محمد الخامس، العدد2، الرباط، شعبان 1406هـ/ أفريل 1986م، ص 147.

[2]- عبد الباسط المستعين: المرجع السابق، ص 47.

[3]- عصمت دندش: حول رباط بن ياسين، ص 362.

[4]- **غانة:** قيل وإنّما سميت إفريقية لأنّ قوما من الأفارق سكنوها، وهم أولاد فاروق بن مضر من العرب العاربة؛ وزعموا أنّ إفريقية اسم ملكة ملكت إفريقية؛ وقيل إنها إبريقية. وحد إفريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال التى هى حاجز بين بلاد إفريقية وبلاد السودان، انظر: مراكشي: المصدر السابق، ص 112.

[5]- البكري: المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ص 168.

[6]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 149.

[7]- البكري: : المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص 168، أمّا ابن أبي الزرع فيذكرها سنة 447هـ/ 1055، ص 127.

[8]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 149.0

ولقد انشغل المرابطون بجهات أخرى أيضا من السنة نفسها 446هـ/ 1054م،[1] وخرج إلى سجلماسة ودرعة[2] بطلب من فقهائها وصلحائها، لرغبتهم في تطهير بلادهم ممّا هي فيه من المنكرات وشدّة التعسّف، والجور، وما يلقوه من صعوبة تعايش بسبب الذّل، وما يسبّبه أميرهم مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي.[3] فسار حتّى وصل بلاد درعة، فوجد بها عامل أمير سجلماسة، فأخرجه عنها ليكون له بها نصيب خمسين ناقة، والتي كانت تابعة لأمير سجلماسة. وقد انزعج هذا الأخير بهذا، فخرج له في جيش ليتقاتل الجمع بعد ذلك.[4]

كان لابن ياسين جيش عدّته ثلاثون ألف جمل سَرِج، فتمكّن من قتل أمير سجلماسة بعد رفضه الاستجابة له[5] وفتحت المدينة، ودخلت في طاعة المرابطين،[6] فقتل من بها من مغزاوة وصار له نصيب من أموالهم ودوابهم وأسلحتهم وضمّها إلى الإبل التي أخذها من درعة، فأخرج منها الخُمس جميعه وفرّقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهم، وقسّم الباقي على المرابطين. ثم أقام بسلجماسة حتّى ساد الهدوء، ثم أصلح أحوالها وغيّر ما وجد بها من منكرات، وقدّم عليها عاملا من لمتونه وانصرف إلى الصحراء.[7]

---

[1]- كانت مجريات هذه الأحداث حسب ما يذكرها البكري سنة 446هـ/ 1056م، أمّا ابن أبي الزرع فيذكرها ب20 صفر 447هـ الموافق ل 21 سبتمبر 1055م، انظر: البكري: المصدر السابق، ص 168، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 128.

[2]- **درعة**: يقال لها تيومتين، وهي ليست بمدينة كبيرة، يحوطها سورا وإنّما هي قرى متصلة وعمارات متقاربة، وهي على نهر سجلماسة، وبينها وسجلماسة ثلاث مراحل كبار، وبينها وبين السوس الأقصى أربعة أيام، انظر: الإدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 227.

[3]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 127.

[4]- نفسه، ص128.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص 167.

[6]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 154.

[7]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 128، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 244.

وفي هذه الأثناء وصل خبر هلاك يحي بن عمر اللمتوني[1] والذي ذكره البكري أنّه كان متخلّفا على غزو سجلماسة، وبقي في لمتونة، وأرسل أخاه أبا بكر مع ابن ياسين مكانه، فغارت عليه جيوش من جدالة وحاصروه في جبل لمتونه، وكان معه رئيس تكرور[2]، فخرج عليهم بموضع يسمى تيفريلي بين تاليوين[3] وجبل لمتونه[4].

فقتل يحي ابن عمر هناك سنة 448هـ/ 1056م[5] وقتل معه بشر كثير.[6] ورغم هذه النّكسة المفجعة بموت الأمير اللمتوني المفاجئ، إلّا أنّ ابن ياسين كان قد أخذ الاستعداد للمضيّ قدما

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 244.

[2]- **تكرور**: مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهي أكبر من مدينة سلى وأكثر تجارة، وإليها يسافر أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر والخدم، انظر: الحميري: المصدر السابق، ص 134.

[3]- **تاليوين**: وهم إلى بلاد السودان أقرب. وبينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل، وليس يعرفون حرثا ولا يزرعون زرعا ولا يعرفون خبزا، إنّما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفد عمر أحدهم ولا رأى خبزا ولا أكله إلّا أن يمرّ بهم التجّار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق، وهم على السنّة مجاهدون للسودان، انظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 857.

[4]- **جبل لمتونة**: كانت فيه سلطنة الملثمين، يمتد حيث الطول خمس عشرة درجة والعرض ثلاث درجات عن خط الإقليم الثاني ويمر مشرقاً آخذاً للشمال حتى يتجاوز الإقليم الثاني. وفي غربيه قاعدتهم أزقى وطولها أربع عشرة درجة ونصف ودقائق وعرضها اثنتان وعشرون درجة. ومنها يدخل إلى صحراء اللمط التي بين هذه البلاد وبلاد السودان، انظر: أبو الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي: الجغرافيا، (د، ت)، (د، د، ن)، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ص20.

[5]- اختلف المؤرخون حول سنة وفاة يحي ابن عمر اللمتوني، والسبب الذي أدى على وفاته، فيقف ابن خلدون على أنه توفي سنة 447هـ/ 1055م وكان ذلك في الصحراء على ذكره، وانضم إليه ابن الخطيب في ذكر نفس السنة وذكر وكان وفاته في واقعة أسماها ثورة أهل سجلماسة على اللمتونيين الذي سكنوا سجلماسة وكان منهم، بينما ابن أبي الزرع فيذهب إلى ذكر سنة وفاته 448هـ/ 1056م في جهاد كان ببلاد السودان، ويتفق معه البكري وابن عذاري في سنة الوفاة ويختلفان معه في كيفية وفاته، بحيث يذكران أنّه قتل في جبل لمتنونة مثل ما ذكرناه، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 244، ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص 229، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 128، البكري: : المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص 168، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 14.

[6]- البكري: : المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب ، ص 167، 168، ابن عذاري: المصدر السابق، ج4، ص 14.

للجهاد،[1] وبهذا قدّم عبد الله بن ياسين في مكان الأمير أخاه أبو بكر بن عمر اللمتوني[2] وذلك سنة 448هـ في شهر محرم /1056م[3] وقلّده أمر الحرب. فنبذ المرابطين بعد ذلك إلى غزو المصامدة وبلاد السوس في السنة نفسها.[4]

وقصد أغمات[5] ففتح ماسة[6] وتارودانت وفرّ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي إلى تادلة[7]، فتبعه وقتله مع من استضافوه سنة 449هـ/ 1057م.[8]

وبهذا طاعت له ورّيكة وهيلانة[9] وأزميرة، واستولى على بلاد السوس بأسره وأرغمهم على العودة إلى الدين الإسلامي الصحيح.[10] فكان وصوله إلى أغمات[11] سنة 450هـ/ 1059م، فتلقاه

[1]- علال لخديمي: **جهاد عبد الله ابن ياسين والحركة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998، ص78.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 244

[3]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 128، والبكري: المصدر السابق، ص 167

[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 128.

[5]- المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص23.

[6]- **ماسة:** على نحر البحر، وبحذائها من الجنوب لمطة، ودونها من الشرق تامدلت، ثم شرقيّ السوس، وعلى سمتها أيضا، شرقا سجلماسة، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 125.

[7]- **تادلة:** من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس، انظر: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين: **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (د، ت)، دار الجيل، (د، ط)، بيروت، 1412هـ، ج1، ص 248.

[8]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 244.

[9]- **وريكة وهيلانة:** جزء من مدينة أغمات، وهما مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة والأخرى أغمات هيلانة، وبينهما نحو8 أميال. وبأغمات وريكة يسكن الأعيان وبها ينزل التجار على القديم لأنها كانت دار التجهز للصحراء؛ وبها نهر جريه من القبلة إلى الجوف، يشق المدينة بعضه وعليه أرحاء وحوله بساتين كبيرة، انظر: مراكشي: المصدر السابق، ص 207.

[10]- خالد حمون: المرجع السابق، ص 212.

[11]- **أغمات:** ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مرّاكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السّوس الأقصى بأربع مراحل، ومن سجلماسة ثماني مراحل نحو المغرب، وليس بالمغرب، فيما زعموا، بلد

أشياخ المصمادة وأذعنوا له بالطاعة بعدما سمعوا بخبره بالسوس، فضمّ مدينة أغمات واستوطنها مع ابن ياسين[1] وأخذ الأموال وجعلوها فيئا، وأظهر الله المرابطين، وأعلى كلمتهم ففتحوا بها معاقل بلاد السوس، وعيّن عمّاله على نواحيها[2]

ثالثا: الصراع مع برغواطة ووفاة ابن ياسين

لمّا سار ابن ياسين إلى تامسنا وفتحها، أُخبر بعدها أن بساحلها قبائل برغواطة،[3] وعلى قول ابن أبي الزرع "أنّهم عدد عظيم، وأنّهم مجوس كفّار، وأهل ضلال."[4] فهل يا ترى سيكمل فيما هو مقبل علي من إعلاء لكلمة الحقّ؟ أم أنّه يرجع أدراجه خوفا من عدّتهم وعتادهم التي لا تحصى؟

في مطلع القرن الخامس الهجري من سنة 450هـ/ 1059م، توجّه عبد الله بن ياسين نحو برغواطة[5] لقتالها،[1] وأميرها آنذاك أبو حفص عبد الله بن أبي عبيد محمّد بن مقلّد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبي.[2]

أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظّا ولا خصبا منها، انظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 225.

[1]- المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص23.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 129.

[3]- **برغواطة:** من بطون المصامدة، برغواطه الذين بنواحى فاس والسوس وسجلماسه وماسه وهم قوم فى زنقة من الأرض يحيط بها البحر المحيط، انظر:ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص275، ابن حوقل: المصدر السابق، ج2، ص 444.

[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 129.

[5]- لم يكن اللقاء الأوّل بين ابن ياسين وقبائل برغواطة، فلقد مرّ بهم أثناء رجوعه من الأندلس، فاطّلع على أحوالهم ورأى ما كانوا عليه من ضلال وجور، وحاول إصلاحهم بما أوتي من قوة ولكن لم يكن هذا كافي لوحده، فاتضح له بعدها أن هذه الفئة الضالة لا تعود عن ما هي عليه إلا بقوة تضاهيها في القوة، انظر إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص115، 116.

لقد كان يسود هذه المناطق الجور والظلم،[3] كما ذكر البكري عن أحوالهم وصنيعهم، فيقول: "فكانت صلاتهم دون سجود وصوم رجب وأكل رمضان، وكان لهم في الصلاة خمسا نهارا وخمسا ليلا، وليس لهم آذان وقرآنهم عبارة عن ثمانين سورة، أكثرها منسوب إلى أسماء الأنبياء، وبها ادّعوا النبوة... فكانت هذه هي حالهم، فهم في ضلالهم منغمسون..."[4]

فمذهبهم وعقيدتهم كانت عبارة عن خليط من معتقدات وثنية وأخرى يهودية، ومن مبادئ خارجية وأخرى شيخية، وكان الغالب عندهم المذهب الخارجي الصفري.[5]وهو الأمر الذي حدى بابن ياسين إلى تقديم جهادهم عن غيرهم.[6] ليجد نفسه بعد ذلك على حدودهم هو ومن معه. فهذا الجيش وإن كان قليل العدد والعدّة، إلّا أنّ رغبتهم الجهادية القوية قد دلّت على الشحنة التي غرسها فيهم الداعية، فبرغواطة أشدّ قتالا من القبائل الأخرى، والقضاء عليهم،[7]واستئصال شأفتهم أكبر خدمة يؤديها في سبيل مهمّته الدعوية.[8]

باشر ابن ياسين غزوهم مع المرابطين[9] بعد أن فشلت محاولته بإيجاد صيغة الحوار مع هؤلاء القوم، الذي كان طموحهم فوق أن يتنازلوا للمرابطين للجدال والتفاهم،[10] فكانت بين ابن ياسين

---

[1]- عبد الباسط المستعين: المرجع السابق، ص 49.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 132.

[3]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 111، 112.

[4]- البكري: المصدر السابق، ص 138، 139، 140.

[5]- علال لخديمي: المرجع السابق، ص 85.

[6]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 131، مولود عاشق: **المجال الجغرافي والصراع البرغواطي الياسيني**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، القنيطرة، 1998م، ص 34.

[7]- مولود عاشق: المرجع السابق، ص 37، 38.

[8]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص116.

[9]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 131، 132.

[10]- عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (عهد المرابطين)**، الهيئة لمكتبة الإسكندير، (د، ط)، المغرب، 1407هـ/ 1987م، مج 5، ص 9.

وأمير برغواطة عدّة حروب[1] اشتبك فيها الطرفان في معارك طاحنة،[2] واشترك فيها الداعية بنفسه بالهبوط إلى أرض المعركة بعدما كان يكتفي بالجلوس والمشاهدة عن كتب، ويراقب المعركة، فقوّى أماكن الضعف فيهم ورسم خطّة كفيلة بضمان النصر له،[3] فكان يقاتل ويسير في ساحة القتال ويبشّرهم بالجنّة، وسيفه يعمل في رقاب أعدائه، فلم يأبى بالجروح التي تخللّته جراء تسربه بين المقاتلين وقتاله للعدو.[4] فلقد أبدى بن ياسين تصميما قويا للقضاء على مذهب برغواطة المخالف للسنّة.[5]

بعدما ثقل بالجراح التي كانت تكتسي جسده، أخذه إخوانه الى معسكره،[6] فلم يمنعه ما به من آلام، واقتراب نهايته من أن يؤدّي واجبه الأخير نحو الدعوة التي ضلّ يجاهد في سبيلها حتى بعدما لم يبق له إلّا رمق، فجمع أشياخ المرابطين ورؤسائهم وخطب فيهم قائلا [7]:" يا معشر المرابطين إنّكم في بلاد أعدائكم، وإنّي ميّت في يومي هذا لا محالة، فإيّاكم أن تجبنوا وتفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا ألفة وأعوانا على الحقّ وإخوانا في ذات الله تعالى، وإيّاكم المخالفة والتحاسد على طلب الرياسة، فإنّ الله يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحبّ من عباده، ولقد ذهبت عنهم فانظروا من تقدّمونه منكم يقوم بأمركم، ويقود جيوشكم، ويغزو عدوكم، ويقسّم بينكم فيَأَكُم، ويأخذ زكاتكم وأعشاركم."[8]

اتّفق المرابطون على تقديم أبي بكر بن عمر اللمتوني، فقدّمه بن ياسين عليهم بالاتّفاق مع جميع أشياخ صنهاجة وإجماعهم على ذلك، ليلقى ربّه في عشي يومه ذلك، يوم الأحد24

[1]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 132.
[2]- علال لخديمي: المرجع السابق، ص 86.
[3]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص117.
[4]- نفسه، ص 117، 118.
[5]- علال لخديمي: المرجع السابق، ص 86.
[6]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 132.
[7]- نفسه، ص 132، إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص 118.
[8]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 132.

لجمادى الأولى سنة 451هـ[1] الموافق ل 8 جويلية سنة 1059م ودفن بموضع مرتفع في مكان يعرف بكريفلة بتامسنا.[2]

ورغم ذلك لم يقف عمل بن ياسين في تصفية الوجود البرغواطي، بل تواصل هذا حتّى بعد وفاته في إرغام البرغواطيين على تصحيح إسلامهم، ولكي يقطعوا أملهم في الحفاظ على كيانهم المستقل خارج الوحدة الإسلامية.[3]

بعد ثمانية وثلاثين سنة قامت دولة المرابطين (الملحق 06) على عبقرية يوسف بن تاشفين، بعد أن وضع أسسها الأولى عبد الله بن ياسين، واستحالت بسرعة على يد أبي بكر اللمتوني ثمّ يوسف من بعده، من زعامة دينية محلّية، إلى ملك سياسي ضخم.[4]

وفي الأخير نستنتج من كلّ ما سبق، أنّ عبد الله بن ياسين أحد الشخصيات التي ساهمت بدورها في وضع منحنى جديد لهوية المغرب، من عقيدة، وفكر، وقومية. فكان نجاح دعوته أو حركته راجع إلى تأثّرها بشخصيته الدعوية لما حملته من معدّات دينية وإصلاحية، فجعلت منه رجلا متّزن الخطى للوصول إلى هدفه، بوضع خطوط تجمع بين الدين، والمذهب، ومجتمع تضبط شؤونه قاعدة، وهي الرباط الذي أسسّه.

كان التوسّع في دعوته وأساس عمله هو الجهاد، واستمراريته وحركته في المضيّ قدما بأنّه عمل على هذه النقطة، وبثّ في نفوس مريديه ما هو كاف لأن تظلّ حركته قائمة بعده، إذ كانت لديه ثقة في إنتاجه لأشخاص يحملون في أنفسهم ما تغدّوا به من داعيتهم. فجهوده لم تكن لفراغ، وإنّما كانت في وضع الأسس الأولى لقيام دولة، فيكون له الشأن بأن يرتبط اسمه بدوله، ويتخلّل أسطرها، وذلك ثمن جهوده.

---

[1]- أمّا ابن خلدون فيذكر سنة وفاته 450هـ/ 1058م، انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 279.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق ، ص 132.

[3]- مولود عاشق: المرجع السابق، ص 39.

[4]- عبد الله عنان : المرجع السابق، ج2، ص 313.

الفصل الثالث

مهدي الموحدين محمّد ابن تومرت (ت524هـ/1130م)

المبحث الأول: التعريف بابن تومرت

المبحث الثاني: شخصية ابن تومرت الدعوية

المبحث الثالث: الأساس العملي عند ابن تومرت

المبحث الرابع: المقارنة بين النّماذج المختارة

المبحث الأوّل: التعريف بابن تومرت

ما إن استقرّت أحوال المرابطين، وأصبحت بذلك دولة تضاهي الدول في العالم، ممتدة من المغرب إلى الأندلس. حتّى برزت حركة دينية أخرى معارضة لها، تمثّلت في حركة المهدي بن تومرت أو ما يعرف بحركة الموحدين، والتي وقعت في أوائل القرن السادس، ونتجت عنها دولة الموحدين من أعظم الدول في الغرب الإسلامية (الملحق 07). فمن هو ابن تومرت؟ وفيما تمثّلت ملامح شخصيته الدعوية؟ وكيف أقام دولته؟

أولا: مولده ونسبه

هو محمّد بن عبدالله،[1] المعروف بابن تومرت،[2] صاحب دولة الموحدين من قبيلة هرغة،*[3] وهم

---

[1]- ابن أبي الزرع : المصدر السابق، ص 172، بن أبي الدينار القيرواني: المصدر السابق ص107، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 103، وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 301، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 46

[2]- عرف عند اغلب المؤرخين بابن تومرت، ويقال تومرت اسم لوالده، انظر: المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 103، وابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301.

*- **هرغة:** من بطون المصامدة، اسمها الحقيقي أرغن، من قوم يعرفون بأسرغين، مساكنها جنوبي وادي السوس إلى شرق مدينة رودانة، انظر: أبي بكر بن علي الصنهاجي المكنّا بالبيذق: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة و النشر، (د، ط)، الرباط، 1971م، ص33، (في التهميش)، المراكشي: المصدر السابق، ص 136، ليفي بروفنسال: **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، القاهرة، 1965م، ص 259، 260.

[3]- أبو العباس أحمد ين خالد الناصري: **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى دولتا المرابطين والموحدين**، تح: جعفر الناصرى، محمد الناصرى، دار الكتاب، (د، ط)، دار البيضاء، 1954، ج2، ص71، ابن ابي الزرع: المصدر السابق، ص 172، أحمد ابن القاضي المكناسي: **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، (د، ت)، دار المنظور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1973م، ص 205، المراكشي: المصدر السابق، ص 136، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 103.

الشرفاء بلسان المصامدة.*[1]ولد حسب ما ذكر ابن خلكان يوم عاشوراء سنة خمسة وثمانين وأربعمائة،[2] أمّا عن النسب، فقد وردت فيه اختلافات، فالمقربين منه يرجعون نسبه لآل البيت، إذ يذكر البيذق[3] أنّه "محمّد بن عبد الله بن وكلّيد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله، وهذا نسبه الصحيح."[4]

أمّا ابن خلدون فيرجع نسبه إلى قرابة إدريس الأكبر صاحب دولة الأدارسة، فيقول: "وهو من قرابة اللاّحقين به إلى المغرب ... فإن نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصامدة (الملحق

*- **المصامدة:** وهم من ولد مصمود بن يونس بربر، وهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم، برغواطة، وغمارة، وأهل جبل درن، ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى مند الأعقاب المتطاولة، أنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 275.

[1]- المراكشي: المصدر السابق، ص 501.

[2]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص48، أمّا الزركشي فيذكر سنة ولادته عام 441هـ/1050م، أمّا ابن الأثير فيقول: أنّه عندما توفي كان عمره إحدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخميسن سنة، ووفاته سنة 524هـ/1130م ، بهذا تكون سنة ولادته عام 469هـ/ 1077م أو 473هـ/ 1081م، انظر ابن الأثير: المصدر السابق، ج4، ص201، أبي عبد الله محمّد بن ابراهيم المعروف بالزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، االمكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م، ص4.

[3]- **البيذق:** من مواليد تونس قابل ابن تومرت بها، وانخرط في سلك طلابه الذين التفوا حوله، ولم تذكر المصادر الأخرى شيئا عن حياة البيدق، ولكن القرائن تعين أنه كان أكبر سنا من الخليفة عبد المؤمن، كان خادما للمهدي، يحمل أمتعته ويقود بغلته ولم نره قد شغل منصبا من مناصب الدولة، ويغلب الظن أنه عاش بعد عبد المؤمن لأنه ذكر جميع تاريخه، أنظر: عبد الله علي علام: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، سحب الطباعة الشعبية للجيش، (د، ط)، الجزائر، 2007م، ص 13، ولتحليل كتابات البيدق وصحبته مع ابن تومرت، انظر: عبد القادر رزمامة: **البيدق والمهدي بن تومرت**، مجلة المناهل، وزارة الدولة النكلفة بالشؤون الثقافية، العدد16، الرباط- المغرب، محرم 1400/دجنبر 1979م.

[4]- أبي بكر الصنهاجي المكنّا بالبيدق: **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1971م، ص 12، أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المعروف بابن القطان المراكشي: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990م، ص 87، 88.

04)، ورسخت عروقه فيهم، والتحكّم بعصبيتهم، فلبس جلدتهم، وانتسب بنسبهم، وصار في عدادهم."[1]

أمّا بعض المؤرخين فأخذتهم الرّيبة والتّردد في النسب، أمثال ابن أبي الزرع، إذ يذكر نسبه العربي فيقول:"وقيل هو ادّعى هذا النسب الشريف، ذكره ابن مطروح القسي في تاريخه فقال: هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة، يعرف بمحمد ابن تومرت الهرغي والله أعلم بذلك." [2]

ومنهم من لم يؤكد له لا النّسب البربري ولا العربي فقط اكتفى بالنّقل عن غيره.[3] أمّا إذا رجعنا إلى ابن تومرت وهدفه الأساسي أو غرضه من نسب نفسه لآل البيت فهو التقرير لمشروعية حكمه[4] التي كانت ركائزها الأولى على المهدوية والعصمة، فعلى حسبهم أنّ المهدوية تعطي الحق لصاحبها للاستيلاء عن الحكم، وأنّ سلطته مستمدّة من إرادة الله،[5] وبذلك وجب عليه أن يكون اسمه مطابقا لاتجاهه المذهبي،[6] فاستغل بذلك الشرف النبوي لدعم فكرته.[7]

ومنهم من ذهب إلى تجريده من النسب العربي كابن عماد الحَنَبَلي في قوله:"وفيها محمّد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، المدّعي أنّه علويٌ، حسنيٌ، وأنّه المهدي."[8]

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 301، تذكر بعض الدراسات الحديثة أنّه لما شكك بعض المؤرخين في نسب ابن تومرت، اضطر ابن خلدون لدفاع عن نسبه الشريف، فقد عرف عنه بدفاعه عن دولة الموحدين، انظر: حسن علي: المرجع السابق، ص456.

[2]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص172، ابن أبي الدينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107.

[3]- انظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 45، الزركشي: المصدر السابق، ص 3، 4.

[4]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص113.

[5]- نفسه، ص 118.

[6]- مراجع عقيلة الغناى: **قيام دولة الموحدين**، منشورات جامعة قاريونس، ط2، ليبيا، 2008م، ص 162.

[7]- حسن علي: المرجع السابق، ص457.

[8]- شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحَنَبَلي الدمشقي المعروف بابن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، ط1، بيروت، 1410هـ-1989م، ج6، ص 117، وفي ذلك ذهب أيضا كلّا من العبادي وألفرد بل انظر: أحمد مختار العبادي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة،(د، ط)، اسكندرية، (د، ت، ط)، ص104، وألفردبل: المرجع السابق، 251.

أمّا ليفي بّروفنسال فذكر أنّه كان يسمّى باسم بربري بحث، لم يستبدل باسم محمّد إلّا في وقت متأخر تيمّنا باسم رسول الله... وكانوا قد وضعوا له مند ولادته لقبا محلّيا، ولمّا عاد رأى وأنّه قد تَسَمى باسم محمّد."[1]

عرف لابن تومرت عدّة ألقاب منها أسافو ومعناه الضياء، وذلك لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد،[2] والمهدي[3] والتي على أساسها وضع أسس دولته، وبفقيه السوس هذا اللّقب الذي وضعه بنفسه.[4]شبّ ابن تومرت قارئا محبا للعلم،[5] ليتجه بعدها في رحلة علمية إلى المشرق فيرجع منها على قول ابن خلدون بحرا متفجرا من العلم، وشهاباً وارياً من الدين.[6]

ثانيا: مرحلة الدّراسة والتفقّه

عرف عن مسلمي المغرب والأندلس تطلّعات نفوسهم وتهافت أرواحهم دائما للمشرق منبت الدعوة الإسلامية.[7] فقد كان المشرق بالنسبة للمغرب محطّ آمال الرّاغبين في العلم التوّاقين إلى التبحر فيه، فلا يتحقّق ذلك عندهم سوى بالارتحال إلى عواصم العلم هناك، بغداد، ودمشق، والمدينة، وغيرها. إذ تساهم هذه الرحلات في تكوين الشخصية من الناحية العلمية التي تكسب

[1]- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص264، 265.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 302، ابن القطان: المصدر السابق، ص 89، 90.

[3]- ابن القطان: المصدر السابق، ص88، ابن خلدون: المصدر السابق، ص 301، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص45.

[4]- جورج مارسيه: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، (د،ط)، الإسكندرية، 2905هـ – 1991م، ص 291.

[5]- أبو العباس الناصري: المصدر السابق، ص73.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 302.

[7]- جمال الدين الشيال: **أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د،ط)، (د، ب، ط)، (د، ت،ط)، ص 33.

صاحبها القيمة والاحترام بين الشعوب.[1] وهذا الشيء الذي عاشه ابن تومرت ساهم بعد ذلك في صقل شخصيته. فكيف كانت مرحلة التفقّه والدّراسة عند ابن تومرت؟

إذا بدأنا بفترة قبل رحيله للمشرق وجدناها تقتصر في معظم المصادر على ذكر أنّ أهل بيته كانوا ذا دين وعبادة،[2] وشبّ ابن تومرت قارئا محبّا للعلم،[3] مشتغلا على تحصيله،[4] ليتجهّز بعد ذلك في رحلة علمية إلى المشرق مبدؤها التسلّح بالعلم، لتهيئة نفسه لبناء دولة.[5]

كانت البداية من الأندلس فوصل قرطبة،[6]وهي يومئذ دار علم.[7] يذكر ابن القنفد أنّه قرأ على القاضي بن حمدين (ت548هـ/ 1153م)،[8] ولم يُذكر عن رحلته في الأندلس الكثير، إلّا ما

---

[1]- عبد المجيد النّجار: **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبدالله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ-1129م، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب**، (د، د، ن)، ط1، مصر، 1403- 1983م، ص 36.

[2]- أبي العباس أحمد القلقشندي: **الصبح الأعشى**، (د، ت)، دار الكتب الخديوية، (د، ط)، القاهرة، 1333هـ- 1915م، ص 136، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 301.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 301.

[4]- ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص172، ابن الدينار القيرواني: المصدر السابق: ص107.

[5]- إذا رجعنا للمصادر يتضح لنا من خلالها أنّ فكرة الدولة كانت تراود ابن تومرت قبل رحيله للمشرق، فالمراكشي يذكر أنّه كان أوحد عصره في خطّ الرمل، ثم اطلع على جفور من بعض خزائن خلفاء بني العبّاس في المشرق، أمّا ابن خلدون فيذكر أنه دائما كان يحدّث نفسه بدولة لقومه على يده لمّا كان الكهان والحزاء يتحيّنون ظهور دولة يومئذ، انظر: المراكشي: المصدر السابق، ص 137، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص302، أبو محمّد الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الهجراني الحضرمي الشافعية: **قلادة النحر في وفيات الأعيان الدهر**، تح: بوجمعة سكري، خالد زاوري، دار المنهاج، ط1، جدة، 1428هـ/2008م، ج4، ص 81، وللمزيد أيضا انظر: ابتسام مرعى خلف الله: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف، (د، ط)، القاهرة، 1405هـ-1985م، ص 50، 51.

[6]- ابن القطان: المصدر السابق،ص72، القلقشندي: المصدر السابق، ص 136، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص104.

[7]- الناصري: المصدر السابق، ص 73، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301.

[8]- أبو العباس أحمد حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفد القسنطيني: **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيقر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، (د، ب،ط)، 1968م، ص 100، والزركشي: المصدر السابق، ص4.

استنتجه أحد الباحثين، كالنجّار مثلا "أنّه التقى هناك ببعض التيارات الفكرية والمذهبية وبالأخص المدرسة الحزمية في الفقه والعقيدة وكان له تأثر بها."[1]

رحل إلى المشرق حوالي 501هـ/ 1107م،[2] وكان يشدّ الرحال إلى أيّ بلد يسمع أنّ فيها عالما، أو فقيها، أو محدثا، ليأخذ العلم من منابعه الصافية.[3] وقد نزل بالإسكندرية فقرأ عن الإمام أبي الوليد الطرطوشي (ت521هـ/ 1127م)،[4] وكان آنذاك فقيها متبحّرا في السياسة الشرعية،[5] مالكي المذهب، يلتزم بما التزم به المتصوفة من إقبال على الزهد والتقشف والعبادة وذكر الله، ولا يؤمن بما يؤمن به بعضهم من العزلة والبعد عن الناس، بل يرى أنّ كل الخير في مخالطة الناس ومقابلتهم ونشر العلم.[6] وهذا الذي اتضح لنا في شخصية ابن تومرت فنراه تأثر بمعلمه، إذ أخذ عنه أصول المذهب المالكي والسّير على نهج التعليم والتدريس، يذكر ابن خلدون:"وقد أخذ على نفسه بالتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع، حتى تلقى بسبب ذلك أذيات في نفسه، أحتسبها في صالح عمله."[7]

[1]- عبد المجيد النّجار: المرجع السابق، ص 67.

[2]- المراكشي: المصدر السابق، ص136، أمّا صاحب الحلل الموشية يذكر أن رحلته كانت سنة 500هـ/1106م، وكذا ابن خلدون والقلقشندي، أمّا النّظم الجمان يذكر السنة الأولى من المائة السادسة، انظر: المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص103، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301، القلقشندي: المصدر السابق، ص136، ابن القطان: المصدر السابق، ص62.

[3]- صالح أحمد صالح: **المهدوية ودورها في قيام دولة الموحدين**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد 3، العراق، 2011/12/29م، ص 537.

[4]- المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 103، الزركشي: المصدر السابق:ص4، ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

[5]- عبد المجيد النّجار: المرجع السابق، ص 84.

[6]- جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص 40.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 302.

أمّا من المسائل التي أثارت الجدل، هي التقائه مع الغزالي(ت 505هـ/ 1111م) وتتلمذه على يديه، وأخذ العلم منه. إذ ذكرت معظم المصادر أنّ ابن تومرت التقى مع الغزالي،[1] وهناك من ذهب إلى الشكّ في لقائهما ويختمها بالله أعلم،[2]وهناك من ينفي ذلك من الأصل.[3]

إذ نجد أنّ الغزالي قد وصلت شهرته الآفاق آنذاك، وداع صيته بالمغرب لما أثاره كتابه إحياء

علوم الدين[4] من معارضة وجدل بين المرابطين.[5] فكان حافزا عند ابن تومرت للسّعي والتطلع عنده إلى آفاق علمية وفكرية، بها تكون له عُدّة إذا ما أراد أن يواجه المرابطين.[6] والغزالي يعدّ آنذاك الفقيه والمتكلم المشهور في المدرسة النظامية في بغداد، استنتج بعدها أنّ العقلانية لا توصل للحقيقة، فاعتزل

[1]- انظر: ابن أبي الزرع: المصدر السابق،ص 172، ابن القنفد: المصدر السابق، ص100، الزركشي: المصدر السابق، ص4، ابن القطان: المصدر السابق، ص73، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص302، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46، القلقشندي: المصدر السابق، ص 136، ابن الدينار القيرواني: المصدر السابق، ص 107.

[2]- انظر: المراكشي: المصدر السابق، ص136.

[3]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 136، ألفردبل: المرجع السابق، ص263،

[1]- يذكر عبد الله عنان أنّ القصة التي نسجت حول إحراق كتاب الإحياء هي أسطورة نسجت كما نسجت نسبة ابن تومرت إلى آل البيت، لتغدوا هالة تحيط بشخصيته وسيرته، وتذكي عناصر الخفاء والقدسية حول شخصه وإمامته. وقد اختير الإمام الغزالي لبطولتها بالذات، لتبوئه يومئذ أسمى مكانة من العلم، والدين، والورع، في العالم الإسلامي، ولشهرته الذائعة في المغرب، وصِلاته المعروفة بعاهل المرابطين وتأثيره الشرعي لديه وتأييده لدولته. لتكتمل بشهادته بعد ذلك في ابن تومرت بتبيان صفاته وعلاماته ما يدل على أمره ومستقبله، وهذا الشيء يرفع من شأن ابن تومرت،كان الإحراق عام 503هـ/ 1109م، انظر: عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص162.

[5]- في قضية إحراق كتاب الغزالي و الحوار الذي جرى بينه وبين ابن تومرت، انظر: المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص105، و المراكشي: المصدر السابق، ص136، وابن القطان: المصدر السابق، ص ص70، 73، أبي عبد الله محمد بن خليل بن غليون الطرابلسي: **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار**، تص: الظاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية، (د،ط)، القاهرة، 1349هـ، ص 68، عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص64، الطاهر العموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1988م، ص ص21، 24، وولمزيد أيضا انظر: مذكرة صابر قايدي: **إحراق الكتب في الغرب الإسلامي أبي حامد الغزالي وإبن رشد نمودجا ((ق6هـ/ 12م)**، مذكرة شهادة ماستر، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، المسيلة، 1439_1440/2018-2019م.

[6]- عبد المجيد لنجار: المرجع السابق، ص82.

الدنيا وأصبح بذلك معلما لحركة صوفية واسعة هزت المغرب نفسه.[1] أمّا فيما يتعلق بتأثر ابن تومرت بالغزالي فهذا ظهر من خلال آراء ابن تومرت ومشاريعه الدينية، وخصوصا فيما يتعلق بمعارضته للتقاليد الدينية الكائنة بالمغرب.[2] أي في ثورته على جمود الفقهاء.*[3]

لكن هذا التأثير لم يصل في رأي جولدسهير إلى الأعماق[4] وأنّ المهدي بالرغم ما يوصف به في تراجمه من الورع والزهد، لم يبد قط ميلا إلى المعارف الصوفية، وإلى ذلك الجهد النّفسي الذي يسمح للإنسان بالحياة في ضمير الحقائق الدينية، وهو الغرض الأساسي في بحوث الغزالي الدينية. هذا إلى ما كان بينهما من خلاف في المناهج، وفي علم الشريعة، وفي بعض النقط الكلامية الأخرى."[5] ويزيد جورج مارسيه على ذلك فيقول:"أنّنا لا ننفي أنّ ابن تومرت قد أنجذب لتعاليم الغزالي، ولكن لم يتبنى كلّ أفكاره، وذلك لأنه يختلف عنه في الطباع."[6]

لقي أيضا ابن تومرت جملة العلماء المشهورين آنذاك، إذ يذكر صاحب المعجب:"أنّه لقي أبا بكر الشاشي[7] وهو رئيس الطائفة الشافعية آنذاك[8] فأخذ عنه شيئا من الأصول والفقه والدين،

---

[1]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 243.

[2]- عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص 164.

[3]- عبد اللطيف عبادة: **ابن تومرت علاقته بالغزالي وموقف ابن تيمية منه**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد السادس، ليبيا، 1398هـ_1989م، ص144.

*- في مقال لنصر الدين جار النبي يذكر: أنّ مبادئ الموحدين في الفقه تتفق مع مبادئ والأفكار التي عبّر عنها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وإصلاحاتهم مبنية على إحلال المنهج العقلي لتقرير الأمور الشرعية بالدراسة المباشرة للأصول (القرآن والسنّة) محل المنهج المتبع آنذاك في بلاد المغرب، وهو دراسة فروع المسائل الفقهية، انظر: نصر الدين النبي سليمان: **مبادئ وتعاليم حركة محمد بن تومرت الإصلاحية في بلاد المغرب (485-524هـ)**، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد27، (ب، م، ص)، جوان 2002م/ ربيع الثاني 1423هـ، ص 314.

[4]- جولديسهير نقلا عن عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص164.

[5]- نفسه، ص164.

[6]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 243.

[7]- المراكشي: المصدر السابق، ص 136.

[8]- عبد الهادي الإدريسي: **الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامة الإثني عشرية**، مذكرة شهادة ماجيستر، تاريخ وسيط، أبو عمرانة الشيخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م، ص105.

وسمع الحديث على مبارك عبد الجبار (ت 500هـ/ 1106م)[1] المحدث، ومن نظرائه من المحدثين.[2]

مهما يكن من الأمر، فإنّ إقامة ابن تومرت الطويلة في المشرق كانت الأساس لسلوكه في المستقبل، ففي المشرق وجد ابن تومرت نفسه في جو فكري حافز، فالمجادلات الفقهية العظيمة التي كانت في المشرق خلقت لديه آثارا في نفسه.[3]

ولهذا لم يكتف ابن تومرت بصفة التلميذ فقط، بل جمع ما أراد جمعه وهضمه، ليأخذ بذلك

صفة العالم الفقيه القادر على التصدّي لدولة في أوج قوتها فكوّن فكره الخاص وتحرّر بطريقته من

الوصايا المشرقية،[4] ليبرز بذلك شخصيته التي سنوضحها أكثر في الأجزاء الموالية.

المبحث الثاني: شخصيته الدعوية

أوّلا: رجل دين وإصلاح

إذا رجعنا لدولة الموحدّين نجدها في أساسها حركة دينية جاءت لخدمة أغراض سياسية، فإنّ داعيها ابن تومرت ومند رحلته العلمية ورجوعه للمغرب، كان قد أعطى لنفسه صفة المصلح الديني، إذ يبالغ في الإنكار، ويلقي المواعظ ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ولا نستغرب ذلك، فإذا رجعنا للمصادر نجدها في ذكر بداياته قد وصفوا أنّ أهل بيته أهل نسك ورباط،[1] وهذا دليل على نشأته الدينية. كما يصفه ابن القطان أيضا:"أنّه كان ملازما للمسجد ودرس اللوح، ليس له صبوة ولا شهوة،"[2] ليشبّ على ذلك ويتوسع فيها في رحلته العلمية أكثر.

[1]- المراكشي: المصدر السابق، ص 136.

[2]- عبد الهادي الإدريسي: المرجع السابق، ص 105.

[3]- روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، (د، ط)، ليبيا- تونس، 1982م، ص 16.

[4]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 43.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنّ ابن تومرت كان رجل دين وإصلاح، فهو في دينه ذهب في عبادته وتقشفه إلى درجة التصوف،[3] إذ يذكر ابن خلكان:"أنّه كان ورعا ناسكا متقشّفا مخشوشنا، مخلولقا، كثير الإطراق بسّاما في وجوه الناس، مقبلا على العبادة، لا يصحبه من متاع الدنيا إلّا عصا وركوة"،[4] وهذه عادة المتصوفة،[5] وكان عالما بالشريعة، حافظا للحديث، عارفا بأصول الدين والفقه،[6] وهذا الذي جعله ثائرا على الحكم في عصره، وعلى التقاليد والأخلاق السائدة في المجتمعات الإسلامية قبل أن يعود للمغرب. إذ من المشرق نجده يقف على كلّ بلد وكلّ مدينة،[7] آخذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبدءا وشعارا له،[8] ممّا أفضى ذلك إلى أذيته في مكة،[9] ونفيه من الإسكندرية*[10] ورميه في البحر من السفينة أثناء عودته للمغرب.[11]

والميزة التي تقربه من المتصوفة أكثر، أنّه لا يكتفي بوعظ العامّة وحدهم في نهيهم عن المنكر، بل كان يتجرّأ عن نهي أولي الأمر كذلك من الملوك فما دونهم، وقد فعل ذلك في كلّ منطقة مرّ

---

[1]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص301، الناصري: المصدر السابق، ج2، ص 74.

[2]- ابن القطان: المصدر السابق، ص90.

[3]- علي محمد الصلابي: **دولة المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1430هـ-2009م، ص263.

[4]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 46.

[5]- الحسين أسكان: **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي518-668هـ/1125-1270م**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (د، ط)، الرباط، 2010م، ص60.

[6]- ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص195.

[7]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص118.

[8]- عبد الرحمان حسين العزاوي: **المغرب العربي في العصر العباسي**، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1436هـ-2011م، ص114.

[9]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص46.

*- كان إذا خاف من بطش وإيقاع فعل به، خلط في كلامه، فينسب إلى الجنون، انظر: ابن خلكان: نفسه، ص46.

[10]- المراكشي: المصدر السابق، ص 137.

[11]- للمزيد والتفصيل، انظر: المراكشي: المصدر السابق، ص137، ابن القطان: المصدر السابق، ص 92، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 46، الناصري: المصدر السابق، ج2، ص 74.

بها،[1]كبجاية وتلمسان،[2] وأخيرا مرّاكش خلال مناظراته لعلمائها وبمحضر علي بن يوسف بن تاشفين.[3] وكان في كل مكان يحلّ به يجد استجابة من الجماهير ورفضا من الحكام،[4] فسلوكه وتصرفاته، أبلغ من أفكاره النظرية في الكشف عن هويته ومذهبه الصوفي، وتصنيف فكره، فتصوّف ابن تومرت تصوف عملي، كما تبلور وتطور في رباطات السوس.[5]

أمّا جولدسهير فقد علّق على مبدء الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فقال: كان أولائك الذين يحاولون تغيير وجه الأمور رجال متحمّسون مخلصون، ولكنّه كان أيضا ذريعة لمغامرين أذكياء يحاولون الوصول إلى السلطة بطريقة سهلة، فيسبغون الصبغة الدينية على حركة ثورية، فقد كان الأمر بالمعروف شعار الحركات لقلب أسر حاكمة، ورفع آخرين إلى مكانها، وهو يبدأ بنقد الأسرة الحاكمة ثم يتلوا ذلك شهر السيف، وإثارة الجموع، فإذا نحج ذلك تمّ الوصول إلى الغاية المنشودة.[6]

ثانيا: رجل علم

إنّ الانتقائية الفكرية التي تميّز بها ابن تومرت مند شبابه، خلقت لديه نوعا من التهافت لتحصيل العلوم والبحث عن الحقيقة في إطار طموحه العلمي، ممّا دفعه إلى السفر، والتنقل بين

[1]- الحسين أسكان : المرجع السابق، ص63.

[2]- حسن علي: المرجع السابق، ص35.

[3]- **علي بن يوسف بن تاشفين:** هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني، كان ملكا كبير فاضلا، معتدلا، عظم في أيامه الملك واتسق العز وملك جميع المغرب إلى الأرض الأندلسية والجزر الجوفية وبلاد القبلة بأسرها، وخطب على أكثر من ألفي منبر وسلك طريق أبيه في أمورها كلها، وتوفي في ثالث رجب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، أنظر: لسان الدين ابن الخطيب: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال**، تح: أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، دار الكتاب، (د، ط)، الدار البيضاء، 1964م، ص 253، الزركشي: المصدر السابق، ص8.

[4]- حسن علي: المرجع السابق، ص 35.

[5]- حسين أسكان: المرجع السابق، ص 63.

[6]- جولديسيهر نقلا عن عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص168.

المراكز العلمية من المغرب إلى المشرق مرورا بقرطبة.[1] فكان له تأثرّ بمدارس فكرية في المشرق، فأخذ عنها ما يواتي شخصيته ومعتقداته ويحقّق أهدافه، فأضحى بذلك رجل علم في عصره[2] مختلفا بصفة جذرية عن نظرائه المرابطين.

عرف بمنهجه وبنظرياته المعرفية المتميّزة، فأسس كلّا من العقيدة والشريعة على القطع السمعي والعقلي، نابذا التقليد الذي كان عليه المرابطون، والمتمثّل في المذهب المالكي،[3] إذ رأى أنّهم لم يعودوا يرجعون إلى الأصول يستنبطون منها الأحكام، واكتفوا بالأحاديث المجموعة في كتب الفروع، فجعلوها مرجعهم الوحيد.[4] ولا ضير في ذلك، فقد كان ابن تومرت نفسه يرى أنّه عالم زمانه، المجدّد. واتّضح

هذا من خلال جوابه لعبد المؤمن بن علي،[5] الذي كان يريد المشرق لأخذ العلم، فأجابه بأنّ العلم الذي تبحث عنه في المشرق هو في متناولك في المغرب.[6]

أمّا من ناحية مذهبه، فنجده أنّه قد وصف بأنّه انتقائي تلفيقي، إذ جمع بين كثير من المذاهب، فأضحى بذلك مزيجا من العقائد والنظريات،[7] يصفه ابن القطّان فيقول: "أنّه كان حافظا

---

[1]- محمّد بن تومرت (المهدي): **أعز ما يطلب**، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، (د، ط)، المغرب، 1997م، مقدّمة المحقق، ص 18.

[2]- علي الصلابي: المرجع السابق، ص263.

[3]- محمّد عبد الواحد العسري، فريد بن عزوز: **مرشدة المهدي بن تومرت الأعجمية بين المندجنين بالأندلس**، تحولات الفكر الإسلامي، أعمال الندوة الدولية المنعقدة بتطوان، يومي 18- 19 صفر 1436هـ- 11- 12 ديجنبر 2014م، تطوان، المغرب، 1438هـ/ 2017م، ص 36

[4]- عصمت دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص133.

[5]- **عبد المؤمن بن علي**: هو بن علوى بن يعلى بن مروان لقبه الموحدون بالخليفة أمير المؤمنين، مَوْلِده: سنة سبع وثمانين وأربع مائة، لمّا توفي المهدي تفاوض البقية وأصحابه فيمن يكون إمامهم، فوقع اتفاقهم على عبد المؤمن لما كانوا يشاهدونه من تعظيم له بمحضر أصحابه، توفي في سنة 527هـ/ 1132م، انظر: المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص142، 143، للمزيد أيضا انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص ص 366، 375.

[6]- البيذق: أخبار المهدي، المصدر السابق، ص16، عبد الله العروي: المرجع السابق،ج2، ص144.

[7]- حسن جلاب: **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط3، مراكش، 1995م، ص31.

عالما بالمذاهب، متصورا ألمعيا نقّابا، فعمّر مجلسه الطلبة والصالحون، فكان رضي الله عنه مأوى لأهل الخير والعلم."[1] فأخذ عن الأشاعرة في تأويل المتشابهة[2] من الآيات القرآنية،[3] يذكر المراكشي:" أنّ جلّ ما يدعو إليه، علم الاعتقاد على الطريقة الأشعرية، وكان أهل المغرب ينفرون من هذه العلوم.

كما تأثر بمذهب المعتزلة في التحليل وتنزيه الله تنزيها مطلقا بنفي الصفات[4] عنه والتوحيد،[5] فضلا عن ذلك، فنرى أنّه أخذ عن ابن حزم (ت 456هـ/ 1063م) من الجانب الفقهي، الذي يرى فيه عدم التقيد بآراء مذهب من المذاهب الأربعة المعروفة، وهو ما يسمّى التقليد الذي حاربه ابن حزم،[6] والوقوف على نص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وجعل أسماء الله الحسنى والقرآن الكريم هي الأسماء التي يجب على المسلمين التزامها دون التعرض للصفات.[7]

[1]- ابن القطّان: المصدر السابق، ص77.

[2]- في القرآن الكريم آيات محكمات، وآيات متشابهات، (الرحمان على العرش استوى، يد الله فوق أيديهم). كان المغاربة يقولون برأي مالك والسلف في الاعتقاد بظاهر النصوص والصفات الواردة من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، (الاستواء معلوم والطريقة مجهولة والسؤال عنه بدعة)، وقد نادى ابن تومرت بالتأويل، ضدا على المرابطين ونعتهم بالمجسمة ويرى أنّ الشرع قد أجاز لنا التأويل في اللغة، انظر: حسن جلاب: المرجع السابق، ص 33.

[3]- صالح أحمد صالح: المرجع السابق، ص543.

[4]- ابن تومرت يعد حِجَاج دقيق، أنّ الله واحد أحد ليست له صفات قائمة في ذاته ولا زائدة منفصلة عنها، ولا يعترف إلّا بالأسماء الحسنى، وهي التي سمّى بها نفسه على وجه التحديد، لا يجوز فيها القياس أو الإصلاح أو الانشقاق، انظر: حسن جلاب: المرجع السابق، ص 34.

[5]- شفاء محمّد حسن محمود: **محمد ابن تومرت ودوره في إغناء الحياة العلمية في بلاد المغرب**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، جامعة بغداد، العدد5، بغداد، (د، ت، إ)، ص 580، 581.

[6]- صالح أحمد صالح: المرجع السابق، ص543.

[7]- شفاء حسن محمود: المرجع السابق، ص 381.

وكان على رأي الشيعة في فكرة المهدوية[1] والعصمة وارتكاز الدعوة عليها. يقول ابن خلدون: "وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية الشيعة، وألّف بذلك كتابه في الإمامية الذي افتتحه بقوله أعز ما يطلب،[2] وصار هذا المفتتح لقب على ذلك الكتاب."[3]

كما مارس ابن تومرت التدريس وإلقاء الخطب والدروس على أتباعه، وكان يتقن اللغتين العربية والبربرية،[4] فقام بالتنشيط الدائم لدراسة القرآن والحديث وجعل دراستهما أساسا في الجانب التربوي في دعوته، فألّف لهم مختصرين اثنين من أهم مدونات الحديث هما: مختصر الموطأ،[5] ومختصر مسلم، اقتصر فيه على النصوص والأحاديث، وحذف الأسانيد لتسهيل حفظهما وشيوعهما بين العامة.[6] ووضع لهما كتابا آخر في العقيدة سمّاه القواعد، وآخر سمي بالأمانة.[7]

ومن أشهر مؤلّفاته بعد أعزّ ما يطلب،كتابه المرشدة، يحتوي على سبعة أحزاب على عدد أيّام الأسبوع، وأمر أتباعه بقراءة حزب واحد بعد كل صلاة،[8] يذكر ابن القطّان:"ومن نعمه رضي الله تعالى عنه عليهم، ما أخذهم بقراءة حزب واحد منه كل يوم إثر صلاة الصبح، بعد حزب من القرآن وهو سفر مجلد، يحتوي على معرفة الله تعالى، والعلم بحقيقة القضاء والقدر، والإيمان،

---

[1]- للتّعمق أكثر في فكرة المهدوية في المغرب، انظر: مذكرة أمينة قاسمي: **المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي دراسة في المرتكزات الفكرية والأبعاد السياسية**، مذكرة شهادة ماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، محمد دلباز، 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م.

[2]- يضع فيه مبادئه ونظرياته وأرائه في مختلف الأصول وفي الإمامة وفي التوحيد والعلم، انظر: محمّد طهراوي: **الحركة الدينية عند المرابطين والموحدين دراسة مقارنة**، مذكرة ماجيستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، العبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016/2015م، 39.

[3]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 301، الناصري: المصدر السابق، ص73.

[4]- صالح أحمد صالح: المرجع السابق، ص543.

[5]- انظر: محمّد ابن تومرت: **موطأ الإمام المهدي**، (د، ت)، مطبعة فونتانة الشرفية، (د، ط)، الجزائر، 1323هـ- 1905م.

[6]- عبد المجيد النجار: **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، هيرندن، فيرجينيا، 1415هـ/1995م، ص98.

[7]- عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص175.

[8]- صالح أحمد صالح: المرجع السابق، ص544.

والإسلام والصفات، وما يجب الله تعالى وما يستحيل، وما يجوز عليه، والإيمان بما أخبر النبي صلى اله عليه وسلم..."[1]

برز ابن تومرت كشخصية علمية، وعمل على نشر إيديولوجية عقلانية الطابع، ونادى بترك التقليد والعودة إلى الأصول لفتح باب الاجتهاد،[2] فأضحى بذلك رجلا شغوفا بضرورة حسم موضوع المرابطين والسلطة على العموم، فاستخدم كلّ الوسائل كمبرر موضوعي للوصول لهدفه وطموحه،[3] وهذا ما سيتضح أكثر في شخصيته السياسية.

ثالثا: رجل سياسي

إنّ ابن تومرت لم يكن مجرّد رجل واعظ له تضلّع في علوم الدين، أو عالما مقتصرا على تحصيل العلم للوقوف عند الجانب النظري منها. بل كان فكرا يربط بين المعرفة والواقعة، بين النظرية والعملية،[4] ذو طموحات فكرية وسياسية.[5] فإذا رجعنا للطموح، نجده"خاصية تسيطر على كثير من القادة والزعماء، فيدفعهم إلى بذل المزيد من الجهد، وتجميع كافة الطاقات لتحقيق بهذا الطموح، إن على المستوى الفردي أو على مستوى السلالة التي يرأسونها، أو الأمة التي يقودونها، ويكون هذا في معظم الأحيان على حساب الأمم والدول والكيانات الأخرى،"[6] وهذا ما تجسّد في شخصية ابن تومرت وأهله، ليكون رجلا سياسيا من أعلى الدرجات.[7]

---

[1]- ابن القطان: المصدر السابق، ص80، 81، ولتوسّع أكثر والتحليل في المرشدة انظر مقال: محمّد العسري، فريد بنعزوز: المرجع السابق.

[2]- محمّد عابد الجابري: **نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، ط6، بيروت، 1993م، ص 235.

[3]- ابن تومرت: المصدر السابق، مقدّمة المحقّق ص 18، 19.

[4]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص119.

[5]- إبراهيم حركات: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، (د، ط)، الدار البيضاء، 1984م، ج1، ص242.

[6]- عماد الدين خليل: **حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة النور، ط1، مصر، 1405هـ/1985م، ص 65.

[7]- محمد زنبير: المرجع السابق، ص119.

فالمتتبع لحياة ابن تومرت وما صاحبها من حوادث وأحداث، لا يرى من خلال تسلسلها غير عالم مصلح حفّزته أهداف دعوته الدينية إلى خوض غمار السياسة، ولكن قليلا من التعمّق في تنظيماته ودعوته توضح لنا أنه قد وضع مخططا ثوريا لزعزعة الحكم المرابطي، وإقامة حكم جديد مبني على أفكاره وأرائه.[1] أي قد وضع في رأسه مشروعا حضاريا حدّد له الأهداف، وجهز له الطاقة الإمكانية والبعد الزمني، وجسّد كلّ ذلك في خطّة عملية.[2]

فمند عودته من المشرق ودخوله للمغرب بدأ بتحليل الأوضاع التي كانت سائدة في دولة المرابطين بذكاء، و استطاع أن يضع يده على نقاط الضعف والمطاعن التي يمكن أن ينفذ منها إلى نقد المرابطين والتنديد بهم، إن على المستوى الديني، أو على مستوى الأخلاق والفكر.[3] وتبين مدى احترافيته في النقاط التالية:

- استغل ابن تومرت قضية إحراق كتاب الإحياء للغزالي ليجعل منه قميص عثمان،[4] والتي دلّ على أزمة روحية ثقافية في أوساط العلماء والطلبة بالمغرب،[5] ليصفهم ابن القطّان في الأخير بالجهلة فقال: "وقد كان إحراق هؤلاء الجهلة لهذا الكتاب العظيم الذي ما ألّف مثله سببا لزوال ملكهم وانتشار سلكهم..."[6] وقد استعمله ابن تومرت ستارا له، فهو لم يعمل تقريبا بكلّ أراء الغزالي، بل كانا شخصيتين مختلفتان عن بعضهما.[7]

---

[1]- عباس جراري: **الموحدون ثورة سياسية ومذهبية**، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد1، الرباط- المغرب، ذو القعدة 1394هـ/ نوفمبر 1974م، ص89.

[2]- عبد الكريم بكار: **المشروع الحضاري نحو فهم جديد للواقع**، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، ط1، مصر، 1431هـ/2010م، ص13.

[3]- عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر طوائف الثاني 510- 546هـ/ 1116- 1151م**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ- 1988م ص42

[4]- عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، ص 38.

[5]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص120.

[6]- ابن القطان: المصدر السابق، ص72، 73.

[7]- عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق 39.

- لمّا عاد للمغرب لم يسلك فورا مسلك العدوّ للمرابطين، وإنّما تَصَرَفَ تَصَرُّفَ مصلحٍ أخلاقي وفقيه ليس إلاّ. فبدلا أن ينطلق بسرعة نحو الأراضي المرابطية أمضى شهورا ولعلّها سنوات في الجزء الشرقي من الشمال الإفريقي يُدرس ويلقي المواعظ، فحرّك الرأي العام حوله واتّخذ لنفسه أتباعا ومريدين.[1]
- بدأ آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر،[2] وهذا مبدأ يعتبر وسيلة للتدخّل في شؤون الدولة الحاكمة ودعوة لتغيير الأوضاع،[3] ملتمسا فيه طريقه على محاولة الاحتكاك بالجماهير،[4] يُحي به العلم ويعلم الطلبة، وكثيرا ما يردّد[5] ﴿**كنتم خير أمّةٍ أخرجت للّناس تأمرونَ بالمعروفِ وتنهونَ عنِ المنكرِ** ﴾ [آل عمران: 110] يقول جولدسيهر:"أنّه كان شعارا لثورات أسر في المشرق وكذلك في إفريقيا الشمالية، التي كانت دائما مهدا خصبة لأولئك الذين يريدون إقامة صرح سياسي فوق أسس دينية."[6]
- حاول ابن تومرت تجريد الدولة من السند العلمي والديني التي تعتمد عليه دولة المرابطين،[7] القائم على إيديولوجية دينية المتمثلة في السير على النسق المالكي،[8] فأخذ يدعو إلى علم الاعتقاد على الطريقة الأشعرية التي كان أهل المغرب ينفرون منها ويعادون من ظهرت عليه هذه العلوم، فجرت له مناظرات كان له التفوّق فيها والظهور، بأن وجد قوما صياما على

[1]- روجي لي تورنو: المرجع السابق، ص16.
[2]- عباس جراري: المرجع السابق، ص91.
[3]- حسن جلاب: المرجع السابق، ص36.
[4]- عباس جراري: المرجع السابق، ص 91.
[5]- حسن جلاب: المرجع السابق، ص36.
[6]- جولدسيهر نقلا عن عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص 168.
[7]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص131.
[8]- نفسه، ص121.

جميع العلوم عدا علم الفروع،[1] فحرص على فضحهم، وبيان مدى جهلهم، وقلّة بضاعتهم في العلوم الدينية.[2]

- التشهير بإسراف هاته الدول، وانحرافها، وبتصرفات النظام المرابطي بوجه عام.
- تكوين عدد من الطلبة الذين يمكن استصلاحهم كأطر ذات كفاءة لمّا يحين وقت العمل ،أي لمّا يصل إلى غايته.[3]
- إثارة الانتباه لشخصيته وزعامته[4] بإدّعائه العصمة والمهدوية، فهي تعتبر وسيلة قصوى في التعبير عن المعارضة السياسية لنظام القائم، وهي فكرة إيديولوجية لجمع الأنصار والأتباع.
- التوصل إلى كل أهدافه مرحلة بعد مرحلة دون فضح خطته الحقيقية ومع إبقاء نفسه في الميدان العلمي والديني.[5]

لم تكن دعوة ابن تومرت مجرّد دعوة دينية، وإنّما كانت حركة ثورية سياسية منظّمة، فقد عمل بمختلف الوسائل لقلب نظام الحكم المرابطي، وكانت دعوته عبارة عن انتصار مذهب على مذهب آخر،[6] فقد وظّف كلّ الآراء والاتجاهات مهما كانت ليغدو بذلك رجلا بارغماتيا.

المبحث الثالث: الأساس العملي عند ابن تومرت

أوّلا: مرحلة ماقبل الدعوة

"إنّها شخصية تستهوي من حولها إلى أقصى حد، نفس بسيطة ومعقدة في آن واحد، حالم وطموح إن شئنا، مصلح ديني وعالم، إلاّ أنّه سياسي بلغ الغاية في الألمعية والإخلاص، آمن برسالته

[1]- المراكشي: المصدر السابق، ص139.

[2]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص456.

[3]- محمّد زنبير: **المغرب في العصر الوسيط الدولة- المدينة- الاقتصاد**، تنيسق: محمّد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1420هـ/ 1999م، ص 125، 126.

[4]- محمّد زنبير: الخلفية الإجتماعية، ص132.

[5]- نفسه، ص 109، 111، 132.

[6]- عباس جراري: المصدر السابق، ص92.

إيمانا أفضى بالرّغبة إلى أن يحقّقها، كان شعلة ذكاء ونفس لا تخلوا من الرقّة الحضارية."[1] فكيف كانت مرحلة ما قبل الدعوة عند ابن تومرت؟

اتّبع في البداية سياسة الوعّاظ والخطباء في أحاديثهم والمتمثّلة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر،[2] من المهدّية[3] إلى بجاية[4] سنة 512هـ/ 1118م، ليقيم فيها مدّة وهو على حال من الإنكار ليطرد بعدها إلى ملّالة،*[5] فبإقامته في ملّالة شهدت تطورا حاسما في الفكرة السياسية عند ابن تومرت، فخلال هذه الإقامة تحوّل الأمل إلى عزم على القيام فعلا بتغيير، باختيار رجال أكفّاء،[6] وهناك لقي كبير صحابته عبد المؤمن بن علي.[7] اتجّه بعدها إلى مراكش،[8] بعد المرور على مناطق عدّة، تلمسان وفاس[9] (الملحق 04) وهو على نفس الحال، يلقى ترحيبا من الناس، ورفضا

[1]- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص 257، 258.

[2]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص 130.

[3]- **المهدّية:** من صفاقسّ إلى المهدية مرحلتان، كانت مدينة ذات حطّ وإقلاع سفن الحجازية القاصدة إليها من المشرق، وهي مما أحدثه عبيد الله المهدي فسميت باسمه وهي في نحر البحر، وهي من القيروان على مرحلتين، انظر: محمود مقديش: المصدر السابق، ص 112.

[4]- **بجاية:** بهي على البحر فوق جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون، كانت مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد. نفسه، ص 92، 93.

*- **ملّالة:** بالفتح ثمّ التشديد قرية قرب بجاية على ساحل بحر المغرب، كانت تسمى بالبربرية تاملالت، انظر: الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 189، البيذق: أخبار المهدي، تهميش المحقّق. ص13.

[5]- ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 48.

[6]- عبد المجيد النّجار: المهدي ابن تومرت، ص 111.

[7]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 302، 303.

[8]- **مراكش:** على اثني عشر ميلا من أغمات، مدينة استجدها يوسف بن تاشفين في صدر سنة سبعين وأربعمائة، كانت في وقت بنائها من أكبر مدن المغرب الأقصى، وكانت دار ملك لمتونة ، انظر: محمود مقديش: المصدر السابق، ص60، 61، وللمزيد أيضا أنظر: المراكشي: **الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب:** تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، 1985، ص 92، 93.

[9]- **فاس:** مدينة منقسمة بمدينتين، بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى صنهاجة، والمدينة الشمالية منها تسمّى القرويين،والجنوبية تسمى الأندلس، انظر: محمود مقديش: المصدر السابق،ج1، ص69.

من الحكام والمسؤولين، ليلتقي أخيرا بأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، فوعظه وأغلظ عليه القول[1] لما رأى من استهتار وفساد.[2]

بهذا أجريت له مناظرة مع فقهاء البلاط المرابطي سنة 525هـ/ 1130م في مرّاكش سنة وكانت قبلها في فاس، فكانت له الخطوة الأكثر جرأة، من مواجهة الناس في الشارع إلى مواجهة الأمير مباشرة،[3] يذكر صاحب المعجب" فلم يكن فيهم ما يعرف ما يقول، حاشا رجل من الأندلس اسمه مالك بن وهيب، ففطن لفطنته وأشار إلى الأمير بقتله، ولكن الأمير رفض لما عرف عنه من صلاحه وقوامه لليل". [4]وهذا دل على سذاجته السياسية التي أودت بالدولة وتركت لابن تومرت السلطة ليطور مشروعه.[5]

خرج ابن تومرت منفيا لتكون بهذا بداية افتتاح دعوته، فنزل تينمل[6] حيث سيكون مقر الدعوة. ومن هنا يتضح أنّ ابن تومرت قد سلك مبدأين في المرحلة الأولى:

أولا: إماتة المنكر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شرب خمر وسفور ونساء، واختلاطهنّ بالرجال في الأسواق.

ثانيا: إحياء العلم والتنوير العامّة، بتعليم الطلبة وبناء المساجد ووقوف في وجه لفقهاء المالكية، وبهذا يبرز عجز وعلّة المرابطين.[7]

---

[1]- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 303.

[2]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص36.

[3]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج2، ص 178.

[4]- المراكشي: المصدر السابق، ص139، 140.

[5]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج2، ص 178.

[6]- **تينمل**: جبل عالي جدا شديد البرودة، يزدحم السكان فيه منكل جهة، وعلى قمته مدينة تحمل إسمه وهي عامرة ، فيها دفن الداعية المهدي وعبد المؤمن بن علي، انظر: الحسن بن محمّد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد الحجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م، ج1، ص141.

[7]- حسن جلاب: المرجع السابق، ص36.

ثانيا: إعلان المهدوية والتمهيد للدولة الموحدين

أسفرت المناظرة التي جرت بين ابن تومرت و فقهاء البلاط المرابطي عن طرده، وذلك خشية تأثيره في العامّة، فضلا عن إضعاف مركز الفقهاء وتبيان العلّة فيهم. لكن هذا الطرد ستدفع ثمنه دولة المرابطين ثمنا غاليا، فلم تكن تعلم أنّ بتصرّفها هذا قد حددت مصير دولتها، وسيكلّفها هذا زوالها[1].

في البداية توجّه ابن تومرت إلى تينمل حيث بدأ يبثّ أفكاره بين تلاميذه و مريديه وأنصاره،[2] و كان اختياره لتينمل لما تتمتّع به من حصانة ومناعة ممّا يجعلها مركزا صالحا لتوجيه شؤون الدعوة وإعلانه للمهدوية، فلماذا ربط ابن تومرت اسمه بالمهدوية؟.[3]

في سنة 515هـ/ 1121م[4] قام ابن تومرت فيهم خطيبا فقال:" الحمد لله الفعّال لما يريد، القاضي بما يشاؤه، لا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه وصلى الله على سيدنا محمّد رسول الله المبشّر بالإمام المهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يبعثه الله إلى نسخ الباطل بالحقّ، وإزالة الجور بالعدل. مكانه المغرب الأقصى، وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم والنسب النسب، والفعل الفعل، فلمّا فرغ المهدي من كلامه بادر إليه عشرة رجال من أتباعه وقالوا له: إنّ هذه الصفة لا توجد إلّا فيك فأنت هو المهدي، فبايعوه كما بايع الصحابة رسول الله،

---

[1]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 36، 37.

* ظلّت الفترة الأولى من حركة التي كان مسرحها معقل تينملل مجهولة لمدة طويلة، إذ الإخباريون لا يفصلون الكلام على الموحدين، إلاّ بعد أن بدأت مهاجمة الدولة المرابطية سنة 522هـ/ 1128م، انظر: عبد الله العروي: المرجع السابق، ج2، ص 152.

[2]- طاهر راغب حسين: **التطوّر السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر هجري**، دار النّصر للتوزيع والنشر، ط3، القاهرة، 1425هـ/ 2004م، ص248.

[3]- حسن علي: المرجع السابق، ص37.

[4]- ابن خلدون وصاحب الحلل الموشية يذهبان إلى ذكر بيعته سنة 515هـ/ 1121م، أمّا ابن القطّان فيذهب إلى الشك مابين سنة 514هـ/ 1120م و515هـ/ 1121م، انظر ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص 304، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص107، ابن القطان: المصدر السابق، ص 123.

بايعوه على أن يكونوا معه يدا واحدة على القتال والدفاع عنه، فبايعه أصحابه العشرة تحت الشجرة وتتابع البربر بعد ذلك بالمبايعة..."[1]

ومن خلال النّص يتضح أنّ دعوى المهدوية لم تأت إلاّ في خاتمة المطاف بعد مراحل مخططة لتكييف العقول، وتهيئة الجو المناسب لذلك، والّسير بأناة وتَبَصُّر نحو تحقيق الغاية المنشودة[2] وبها أراد أيضا أن يروّج لشخصيته ويستقطب أكثر الأنصار ، وبطبيعة الحال لم يكن يخفى عليه حبّ المغاربة القوي و ارتباطهم القديم بآل البيت،[3] إذ يذهب سعد زغلول في هذا فيقول: "أنّ ابن تومرت كان مضطرا لاصطناع فكرة المهدي ليشبع رغبته الدفينة لدا جمهور البربر الذين افتتنوا به وأرادوا أن يكون زعيمهم فوق مستوى البشر".[4]

وبهذا أقبل الأشياع و الأتباع من سائر قبائل المغرب الأقصى لمبايعته[5]، وسُميَّ أصحابه بالموحدين، يقول ابن خلدون: "وكان يسمي أصحابه بالموحّدين تعريضا بلمتونه في أخذهم بالعدول على التأويل وميلهم إلى التجسيم."[6]بعد ذلك أدرك المهدي أنّه لا يمكن أن يحافظ على وحدة أنصاره إلاّ بوضع تنظيم لهم يضمّهم جميعا، ويضبط لهم مواقعهم وترابطهم. فماهو التنظيم الذي اعتمده، وما الغاية منه؟

هذا التنظيم هو عبارة عن أربعة أجهزة أساسية تختلف بحسب المهمّة:

---

[1]- المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 107، للمزيد أيضا انظر: ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 304، المراكشي: المصدر السابق، ص 140، 141.

[2]- محمّد زنبير: المرجع السابق،ص 133، 134.

[3]- عباس جراري: المرجع السابق، ص 90.

[4]- عبد الحميد سعد زغلول نقلا عن لخضر بولطيف: **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي (510- 668هـ/1116-1269م)**، **المعهد العالمي للفكر الإسلامي**، ط1، الو، م، أ، 1429هـ/2009م، ص126.

[5]- أحمد عودات وآخرون: **تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**، دار الأمل والنشر والتوزيع، (د،ط)، أربد، 1410هـ، 1990م، ص105.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص305.

الجهاز الأول: جهاز سياسي ويشمل على المجالس الثلاثة[1] مجلس العشرة،[2] ومجلس الخمسين[3] ومجلس السبعين،[4] وهم بمثابة الحكومة أو المجالس الاستشارية، والتي استمرت أزيد من قرن بعده.[5] وكان يعقد الأمور العظام مع أصحابه العشرة ولا يحضر معهم غيرهم، فإذا جاء أمر أهون أحضر مجلس الخمسين، فإذا جاء دون ذلك أحضر السبعين.[6]

الجهاز الثاني: جهاز علمي ويشمل على الطلبة (النخبة) وهم الذين بلغو درجة مرموقة من العلم[7] وطبقة الحفاظ أيضا.[8]

الجهاز الثالث: جهاز عسكري ويشمل طبقة الجند وطبقة الرماة والغزاة.

الجهاز الرابع: جهاز شعبي ويضم مجموعة قبائل وهي هرغة وأهل تينمل وجدميوة[9] وجنفسية وهنتانة[10] وأهل القبائل.[11]

---

[1]- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، ص120.

[2]- **العشرة:** هم المهاجرون الأولون الذين أسرعوا إلى إجابته، والمسمون بأهل الجماعة، انظر المراكشي: المصدر السابق، ص141، ابن القطان: المصدر السابق، ص82.

[3]- **الخمسين:** وهي الطبقة الثانية، وهذه الطبقة لا تجمعها قبيلة واحدة، بل هم من قبائل شتى وكان يسميهم المؤمنين، انظر المراكشي: المصدر السابق، ص 141.

[4]- **مجلس السبعين:** وهم ثالث طبقات الموحدين، وهي مكونة من سبعين رجلا وفي الغالب تجمع أبرز رجال القبائل نمط الطبقتين الأوليين، وتأتي أهميتها ووظيفتها في الدرجة الثالثة كذلك، انظر: مراجع عقيلة: المرجع السابق، ص 232.

[5]- طاهر راغب حسين: المرجع السابق، ص 249.

[6]- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 108، 109.

[7]- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح، ص 120.

[8]- وهم صغار الطلبة، انظر ابن القطان: المصدر السابق، ص 82.

[9]- **جدميوة:** قبيلة مصمودية كبيرة تسكن جنوب مراكش الغرب انظر: البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، هامش المحقّق، ص 36.

[10]- **هنتانة:** من أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، كانت تسكن الجبال الشامخة الواقعة خلف مراكش، انظر:البيذق: نفسه، هامش المحقّق، ص 37.

[11]- عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح، ص121، للمزيد أيضا في تصنيفات ابن تومرت انظر: ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 82، 85، المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص 108، المراكشي: المصدر السابق، ص141.

ومن خلال تحليل هذه الأجهزة يبدو أنّ التنظيم الموحّدي في الميدانين الإداري والعسكري كان قوّيا ومتماسكا، وسار في اتجّاهين: أحدهما فكري نخبوي للعمل المذهبي و الثاني جماهيري للعمل المسلح.[1]

بعدما تأكّد من قوة أتباعه بدأ المرحلة الحربية والمتمثّلة في إسقاط دولة المرابطين، فقام بإرسال كتب إلى القبائل المجاورة له يدعوهم فيها إلى الدخول في سلك هذه الدعوة التي تهدف برأيه من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، وتنقذهم من التّردي في هاوية العقيدة المرابطية.[2] ليستعمل بعدها السلاح في حالة عدم استجابتهم له، وبالفعل ذكر ابن خلدون:"أنه قاتل من تخلّف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا، وقاتل أولا هزرجة[3] وأوقع بهم مرارا ودنوا بالطاعة، ثم قاتل هسكورة[4] (الملحق 05) ومعه أبو دوقة اللمتوني فغلبهم..."[5]

إنّ مجمل غزوات ابن تومرت تسعة،[6] كانت ابتداءً من 515هـ/ 1121م إلى 524هـ/ 1129م، انتصر في معارك وانهزم في بعضها، ورغم الخسائر البشرية التي مُنِيَ بها في غزواته، إلّا أنّه كان يعوضها بالقبائل التي يغزوها ويجنّدها في صفه.[7] وكانت له براعة دعائية في نشر الأخبار عن انتصاراته ضدّ المرابطين في معارك لم تنشب، لأنّ المرابطين اثروا بعض الأحيان عدم القتال، وكانوا يقصدون النّصح بالتزام الهدوء والطاعة.[8]

---

[1]- عباس جراري: المرجع السابق، ص 90.

[2]- محمّد كمال شبانة: **الدويلات الإسلامية في المغرب**، دار العلم العربي، ط1، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ص 64.

[3]- **هزرجة**: بعيدة عن هسكورة بأربع أيّام، وإلى أغمات يوم واحد، انظر: البكري: المسالك والممالك، ج2، ص842.

[4]- **هسكورة**: هي من بطون المصامدة، وينسبون لدعوة الموحدية، وهم وبطون واسعة، انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص271.

[5]- نفسه، ج6، ص304.

[6]- انظر البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص ص، 35، 40.

[7]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج2، ص180، 181.

[8]- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص 249.

ومهما يكن فإنّ معركة البحيرة تعتبر من أهمّ المعارك التي خاضها الموحدون ضد المرابطين في حياة ابن تومرت وكانت يوم 2 جمادى الأول من عام 521هـ الموافق ل 15 ماي 1126م،[1] وهزيمتهم من طرف المرابطين كانت الصدمة التي هزت كيان المهدي وألزمته الفراش[2]، ففي هذه المعركة استشهد نصف أهل الجماعة وسلم نصفهم، ولمّا وصل الخبر لابن تومرت سألهم: هل عاش أبو محمد عبد المؤمن، فأجابوه أي بنعم، فقال: إذن كأنّه لم يمت أحدا والبركة في بقائه وكأنّكم بالفتح،[3] وهذا دليل على أنّ الدولة قائمة لا محالة.

اشتدّ المرض على ابن تومرت إلى أن وافته المنية، يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان من عام أربعة وعشرين وخمسمائة، الموافق من 20 أوت 1130م،كانت مدته من أول مبايعته إلى حين وفاته ثماني سنين وثمانية أشهر وثلاث عشر يوما، ودفن في تينمل،[4] ولمّا توفي كتموا أصحابه وفاته إلى أن أقاموا بعده عبد المؤمن بن علي سنة 529هـ/ 1134م.[5]

إنّ ابن تومرت لم يمت قبل أن يشكل أطر دولته عسكريا وإيديولوجيا وسياسيا، وفي مقدمتهم عبد المؤمن بن علي الذي سيكمل ما بدأه المهدي ليعطى له في الأخير اسم الخليفة. ولم يترك المهدي أرضا وقبائل فقط، إنمّا ترك مبادئ وأفكارا صارمة اعتنقها الموحّدون وكانوا على استعداد ليحاربوا في سبيلها ونتج عن ذلك دولة الموحدين (الملحق 07).[6]

في الأخير نستنتج أنّ ابن تومرت كان صاحب هدف، إذ من البداية وهو بالمشرق قد بدأت تتشكّل لديه المقارنة بين ما وجد في المشرق وما ترك في المغرب، وعند العودة كان قد توصل واقتنع أنّ هذا الوضع الذي هو سائر في المغرب وخصوصا المغرب الأقصى ينبغي له التغيير.

---

[1]- للمزيد انظر: البيذق: أخبار المهدي، ص39، 40، المراكشي: المصدر السابق، ص 144، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 305، ابن القطان: المصدر السابق، ص 160، 161.

[2]- محمّد كمال شبانة: المرجع السابق، ص 65.

[3]- ابن القطان: المصدر السابق، ص 163.

[4]- شمس الدين أبو المظفر يوسف قزأوغلي بن عبد الله المعروف بسط ابن جوزي: **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تح: عمار يحياوي، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 1434هـ/ 2013م، ج20، ص 260.

[5]- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص117.

[6]- عبد الكريم غلاب: المرجع السابق، ج2، ص 181.

وفي مراحله التغيرية برزت لدينا شخصيته برجل الدين والإصلاح وهذه عادة المجددين ورجل علم وسياسة.

بهذا اكتملت لديه الصفات ليكون بذلك الرجل الأول في عصره، ويحقّق ما أراد الوصول إليه مستخدما كل الوسائل، لتبرز في الأخير دولة تحمل بصماته ممتدة من المغرب الأدنى إلى الأقصى وصولا إلى الأندلس.

المبحث الرابع: المقارنة بين النّماذج المختارة

من دراستنا للدعاة والدعوة، كان لابدّ لنا من ختامها بذكر بعض نقاط الاتفاق والاختلاف بينهم، وتوضيحها في شكل جدول :

المقـارنـة	
نقاط الاتفاق	**نقاط الاختلاف**
/ نتج عن كل الدعوات بناء دول.	/ كان لكلا من الشيعي وابن تومرت هدف واضح وهو إنشاء دولة، واتضح ذلك من خلال التخطيط المسبق لها،[1] أمّا هدف بن ياسين اقتصر على الإصلاح والرجوع إلى الدين الصحيح، ولم تكن غايته إنشاء، أي لم يكن مخططا، فكان رجل دعوة أكثر من رجل دولة.[2]
/ كان المغرب ملاذ الكثير من الدعوات مع دعاتهم.	/ قامت كلّا من الدعوة المرابطية والموحدية على يد فقيهين مغربيين بن ياسين وابن تومرت.[3] أمّا الدعوة الفاطمية فقد قامت على يد أبي عبد الله الشيعي المشرقي.[4]

[1]- انظر: الخربوطلي: المرجع السابق، ص 57، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 302.

[2]- أحمد شكري: المرجع السابق، ص 82.

[3]- فتحي زغروت: المرجع السابق، ص11.

[4]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 32.

/كانت فريضة الحج قاسما مشتركا في منطلق التمهيد لفكرة دعوة، وتتشابه الدعوة المرابطين مع الموحدين ومن قبلها الفاطمية في اتخاذ موسم الحج مهدا لقيام دعوتهم.[1]	/ لكن نجد اختلاف في الطريقة، فكلّ دعوة انفردت بروايتها في الحج.
/اشترك الدعاة في اعتمادهم على العصبية القبلية في المغرب.	/ لكن اختلفوا في الجغرافية والقبيلة، فالشيعي اعتمد كتامة وبن ياسين اعتمد قبائل صنهاجة وابن تومرت قد اعتمد المصامدة[2].
/انتهج الدعاة لأنفسهم نهج المعلم، واتخذوا التعليم غاية لهم.[3]	/ الشيعي وابن تومرت قد توقفا عن التعليم بمجرد وصولهم إلى هدفهم، أمّا بن ياسين ظلّ مستمرّا في التعليم رغم كلّ ما وصل إليه.
/لقد تكلّلت جهود الدعاة الفردية بنجاح دعوتهم وامتدت إلى تأسيس دول.	/ إنّ جهود الشيعي الفردية نتجت عنها تأسيس دولة قد شهدها في حياته، أمّا ابن تومرت وبن ياسين، فقد تخلّلت جهودهم الفردية بأشخاص استمرّوا في إكمال المسيرة بعدهم في تأسيس دولة.[4]

[1]- نجلاء ساسي محمد النبرواي: **الحج و الجهاد بالمغرب والأندلس مند بداية عصر المرابطين وحتى سقوط غرناطة (440-898هـ/1069- 1492م)**، مؤسسة شباب الجامعة، (د،ط)، الإسكندرية،2015م، ص 49.

[2]- انظر: الاصطخري: المصدر السابق، ص 44، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 123، الحموي: المصدر السابق، ج5، 136.

[3]- انظر: حسين مؤنس: المرجع السابق،141، ابن القطان: المصدر السابق، ص77، حسن محمود: المرجع السابق، ص 158.

[4]- انظر: الخربوطلي: المرجع السابق، ص70، الذهبي: المصدر السابق، ج15، ص 139، عبد الله عنان: المرجع السابق، ج2، ص313.

/ ارتبط اسم كلّ من الدعاة بالمهدوية.	/ جعل كلّا من الشيعي وابن تومرت المهدوية أساسا في دعوتهم، فالشيعي جاء مبشرا بظهور المهدي،[1] أمّا ابن تومرت فقد ادّعى ذلك لنفسه،[2] وإذا رجعنا لابن ياسين فنرى أنّه قد تَسَمّى بذلك من طرف المؤرخين فقط، ولم يكن داعي ولا مروّج لها.[3]
/ اعتمد كلّ من الدعاة على مركز انطلاقة للدعوة.	/ بالنسبة لابن ياسين وابن تومرت فقد اعتمادا الرباط (رباط السنغال ورباط تنمل)،[4] أمّا الشيعي فكانت عبارة عن دار هجرة.[5]
/ اقتدائهم في الدعوة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.	/ بن ياسين جاء محيّي لسنّة رسول الله،[6] أمّا الشيعي وابن تومرت خ وخاصّة مرحلة الهجرة النبوية.[7]
/ اتخذوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعارا لهم.	/ ابن ياسين وابن تومرت انطلقوا من هذه الفكرة الإصلاحية،[8] أمّا الشيعي فاتبع هذا الأسلوب لجذب قلوب البربر.[9]

[1]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 279، 280، بوبة مجاني: المرجع السابق، ص80.

[2]- المجهول الأندلسي: المصدر السابق، ص107.

[3]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص115، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 124.

[4]- انظر: ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص125، طاهر حسين: المرجع السابق، ص248، حسين علي: المرجع السابق، ص 37.

[5]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 43، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص 51، بوبه مجاني: المرجع السابق، 106.

[6]- إبراهيم الجمل: المرجع السابق، ص ص 61، 66.

[7]- محمّد طالبي: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184- 296هـ/ 800- 909م**، تع: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1415هـ/1995م، ص 679، جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 295.

[8]- محمّد زنبير: المرجع السابق، ص 116.

[9]- الخربوطلي: المرجع السابق، ص 44، 45.

/ استندت كل دعوة على فكرة أتى بها الداعي وساهم في صقلها.	/ الفكر التومرتي يمثل نموذجا للعبقرية السياسية والعقدية والثقافية، بينما الفكر الياسيني يتميز بروحه الأصولية أو سماته السلفية،[1] أمّا الشيعي فمرجعيته الفكرية للمذهب الإسماعيلي.[2]
/ كان مسار الزهد العامل المشترك بين الدعاة.	/ فالشيعي وابن تومرت عرف عنهم الزهد وأشهروا به،[3] أمّا ابن ياسين لم يلتبس الزهد ولكن صفاته تدل على ذلك.[4]
/ كل الدعاة كانت لهم انتفاضة ضدّ السلطة الموجودة.	/ الشيعي وابن تومرت جاءا مستغلّين للأوضاع التي وجدت،[5] أمّا بن ياسين فقد أتى بنصرة الحق على الباطل.[6]
/ الثلاثة الدعاة يبغون التغيير، أي يبشّرون بفكرة الإسلام أو خَلق منه.	/الشيعي قد أراد التغيير وذلك لصالح المذهب الإسماعيلي،[7] أمّا ابن تومرت فجاء نابذا للتقليد والحثّ بتحرير العقل على منوال المذهب الأشعري،[8] وبن ياسين كان التغيير بالنسبة له عبارة عن إصلاح، وهو تصحيح العقيدة وبث تقاويم الدين الصحيحة على خطى المذهب المالكي.[9]

[1]- إبراهيم حركات: تقديم ندوة ابن ياسين، المرجع السابق، ص 6.

[2]- فاطمة بلهواري: المرجع السابق، ص16.

[3]- انظر: الخربوطلي: المرجع السابق، ص 68، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، 305، ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص 54.

[4]- حسن محمود: المرجع السابق، ص 121.

[5]- انظر: موسى لقبال: الملحمة، ص73، 76، الداعي إدريس: المصدر السابق، ص 136، 137، عصمت دندش: الأندلس في نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 42.

[6]- ابن أبي الزرع: المصدر لسابق، ص 127، عبد الباسط المستعين: المرجع السابق، ص 47.

[7]- محمّد الأعظمي: المرجع السابق، ص79، ابن أبي الزرع: المصدر السابق، ص 122.

[8]- المراكشي: المصدر السابق، ص 139، محمّد عبد الواحد العسري، فريد بن عزوز: المرجع السابق، ص 36.

[9]- عصمت دندش: دور المرابطين، المرجع السابق، ص 65.

	/ كلّا من الشيعي وابن ياسين أتو مطلوبين لا طالبين[1]مثل ابن تومرت.[2]

ملاحظة:

من خلال هذه المقارنة البسيطة الّتي حاولنا فيها إبراز ما كان باستطاعتنا إبرازه وتوضيحه، فلقد كان من الصعب وضع أوجه اتفاق وأوجه اختلاف بين الشخصيات الثلاث، وذلك لأنّه إذا اتفق داعيتان في جزئية يكون الثالث مختلفا عنهما، أي قد يتّفقون في العامّ ويختلفون في كثير من الجزئيات، ولقد جاء ذكرها على شكل نقاط ولم ندخل في الكثير التفاصيل تجنّبا للوقوع في التكرار.

[1]- انظر: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص ص 36، 40،

[2]- روجي لي تورنو: المرجع السابق، ص16.

الخاتمـــة

توصّل البحث بعد مرحلة الدّراسة والتحليل والتحرير إلى مجموعة من النتائج هي:

– إنّ كل داعية اختلف في شخصيته وهدفه عن الآخر، إذ كلّ واحدا منهم كان له غاية من وراء دعوته، وبهذا تميّزت كلّ شخصية عن الأخرى بأداء دورها بطريقة ومعايير فريدة، والنتيجة كانت لكلّ منهم واحدة، إذ أنّهم كانوا قاعدة لدول قد بنيت بحصاد ما زرعوه.

– تجلّت المسؤولية في كلّ من شخصيات الدعاة، من خلال إقامة معايير في المجتمع تتناسب وفق ما جاؤوا به، وقد تطلّب منهم في ذلك بذل الجهد، والمال، والوقت.

– نجاح كلّ دعوة كان مرتبطا بقدرة الداعي التأثيرية، وهذه القدرة التأثيرية لم تأت عبثا، وإنّما لمواصفات تكون متوفّرة في الداعي، كالزّاد العلمي، والذكاء، ورجاحة العقل وحسن التدبير، وهذا ممّا يجعله يحظى برفعة ومكانة مرموقة في المجتمع.

– مهما كان نبل الدعوة وأهدافها، فإن لم تستند إلى جماهير مناصرة لها لا تضمن بذلك النجاح. فنرى أنّ الدعوة لا تستغني عن العصبية ولا العصبية تستغني عن الدعوة، فنجاح كلّ منهما مرتبط أو مرتهن بإيجابية العلاقة بينهما. وهذا ما أدركه الدعاة.

– في المرحلة الأولى تجد الدعوة نصيبا من المعارضة من قبل المجتمعات، لكن ما تلبث أن تتحّول إلى قبول ومساندة، وهذا يرجع لشخصية الداعي في عزيمته لتحقيق المراد.

– تعتبر الدعوة هي الأداة التي توجّه الدولة من بدايتها إلى نهايتها، ولو استغنت عن بعض الجزئيات منها، تبقى الدعوة شعارا للدولة.

– كلّ داعية كان معتبرا نفسه على حق، وهذا الحق يعطيه يرسم له حدود دولته.

– النّاظر للشيعي من بعيد لا يرى غير رجل زاهد حفّزه إخلاصه لعقيدته، ولكن بقليل من التعمّق فيه تبرز شخصيته في استغلال مهمّته لإثبات ذاته، فتجمّعت لديه من المقوّمات ما جعلته الرجل الأوّل في المغرب آنذاك.

– برزت شخصية بن ياسين في زعامته الروحية المتمثّلة في الدين والتغيير والإصلاح، واكتملت من خلال توحيد عصبية قبائل صنهاجة، ونتج عن ذلك خلق كيان سياسي وحدوي.

– استطاع ابن تومرت بناء نفسه بنفسه، وأتى بآراء جديدة جعل منها بداية لرؤيته التي سعى لتحقيقها، فكان له منهج وعقيدة، وهذا ما ساهم في بناء مقوّمات شخصيته.

– نجد تأثّرا واضحا بالسيرة النبوية في كلّ مراحل الدعاة، مع اختلاف الظروف، فكان لكلّ زمن مسلك ومنهج يتلاءم وفق الذهنيات الموجودة وهمومها.

– من بين كلّ الدعاة، في الأخير نجح بن ياسين، وخرج في النّهاية بإنجاز تمثّل في القضاء على الطائفية في الغرب الإسلامي، وبروز المذهب المالكي مذهبا أساسيا وموحّدا.

الملاحـــق

الملحق: رقم1

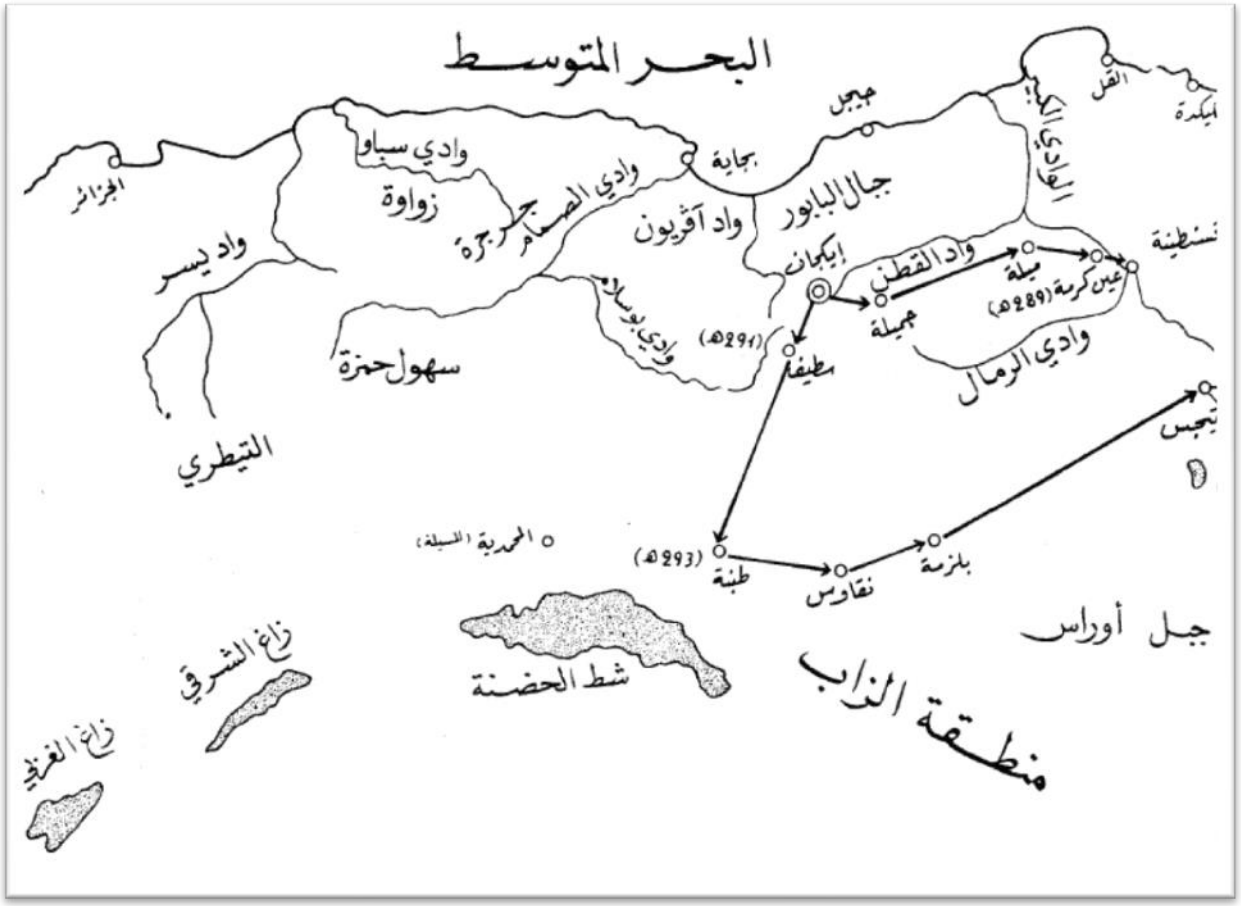

خريطة توسع أبي عبد الله الشيعي من قاعدة إيكجان [1]

[1]- موسى لقبال: دور كتامة، ص 687.

الملحق: رقم02

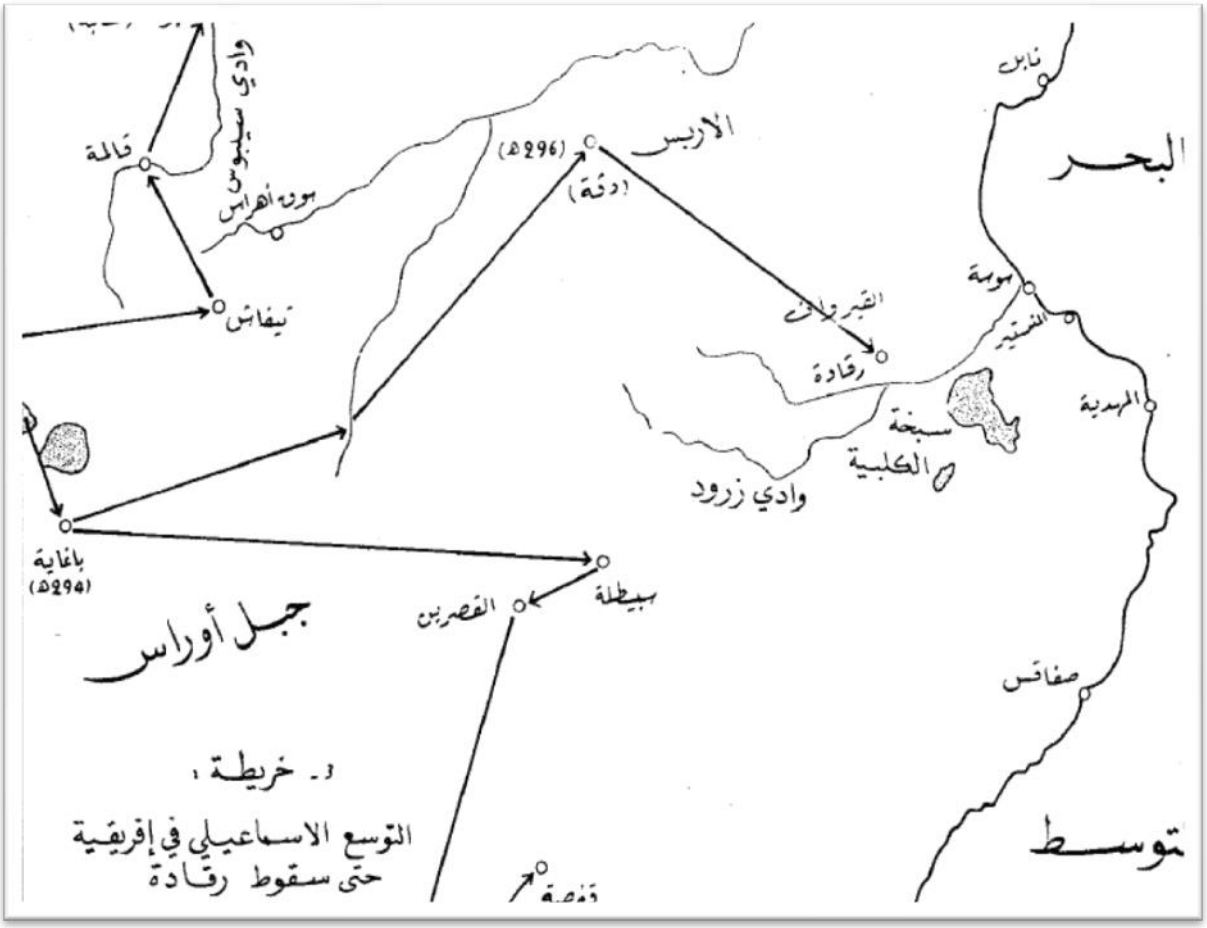

التوسّع الإسماعيلي في إفريقية حتى سقوط رقادة[1]

[1]- موسى لقبال: دور كتامة، ص 688.

الملحق: رقم 03

القبائل الصنهاجية التي كانت مع بدايات عبد الله بن ياسين[1]

[1]- حسن محمود: المرجع السابق، ص504.

الملحق: رقم 04

قبائل المصامدة[1]

[1]- محمّد طهراوي: المرجع السابق، ص 85.

الملحق: رقم 05

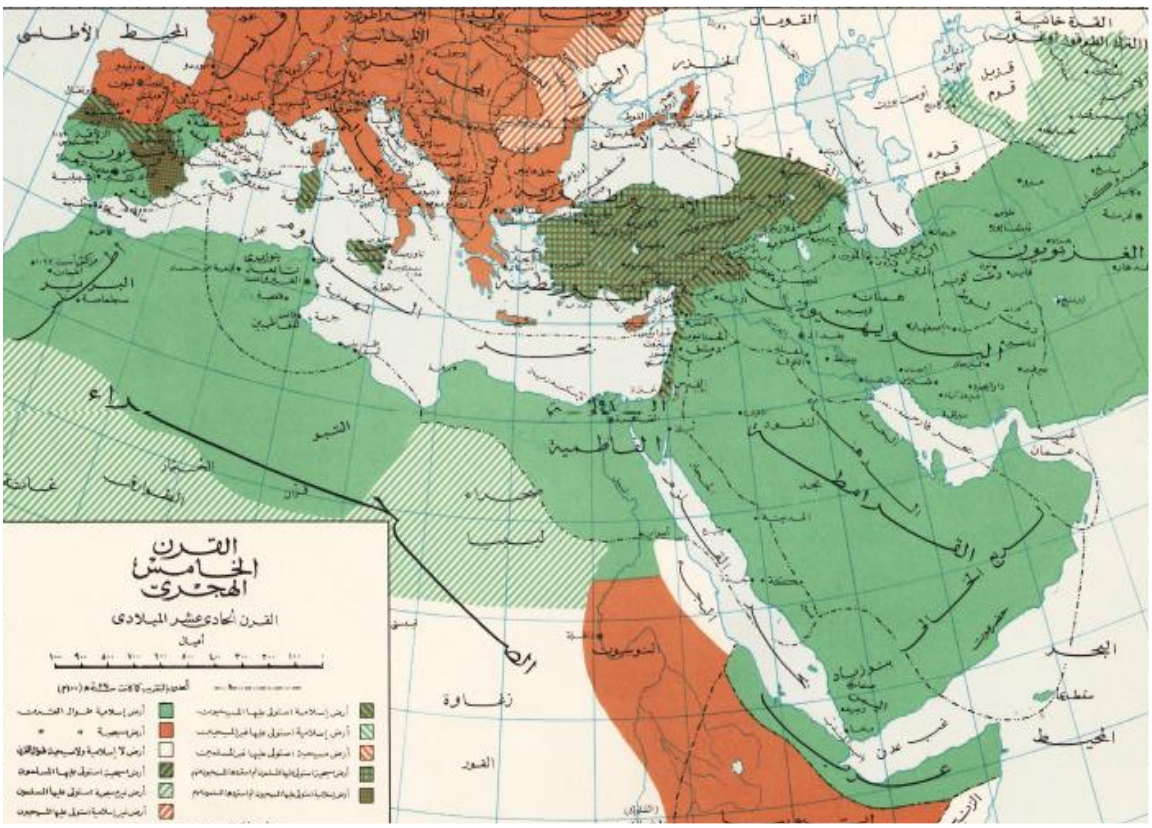

حدود دولة الفاطميين[1]

[1]– هاري. و. هازارور: **أطلس التاريخ الإسلامي**، تر: إبراهيم زكي خورشيد، مكتبة النهضة الأوروبية، (د، ط)، القاهرة، (د، ت، ط)، ص15.

الملحق: رقم 06

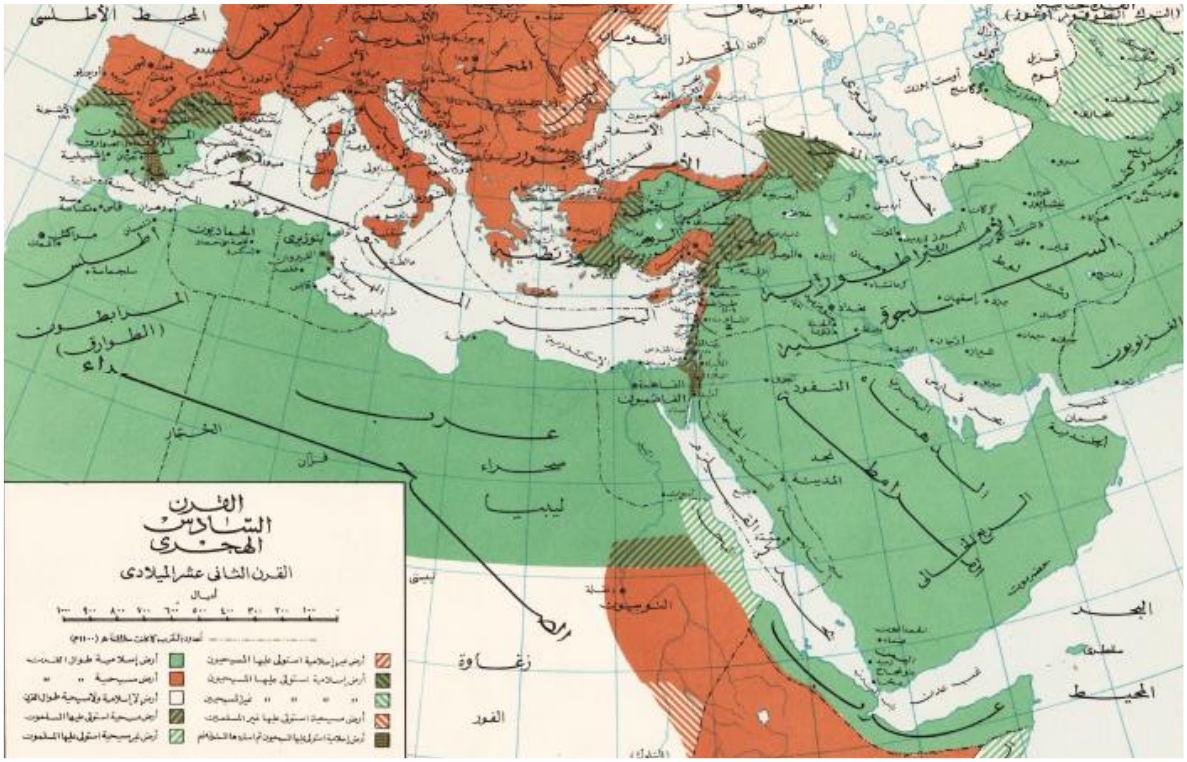

حدود دولة المرابطين[1]

[1]– هاري. و. هازارور: المرجع السابق، ص 17.

الملحق: رقم 07

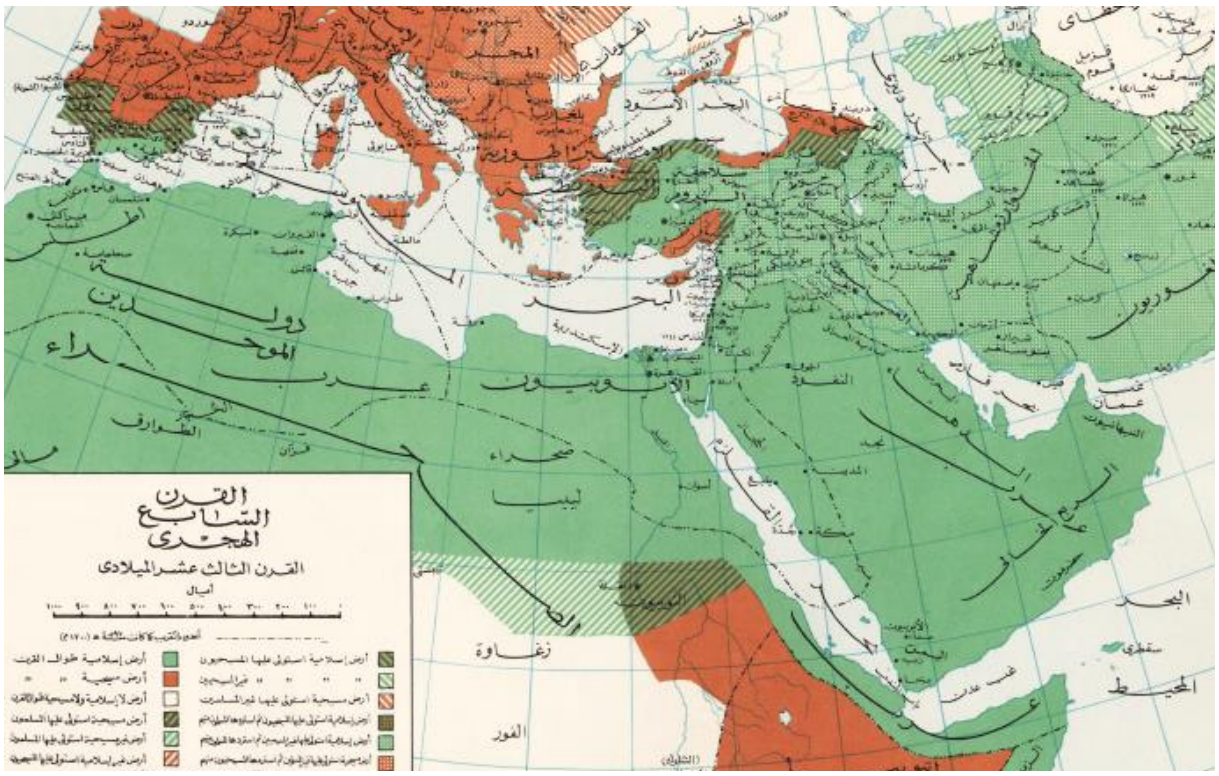

حدود دولة الموحدين[1]

[1]- هاري. و. هازارور: المرجع السابق، ص 19.

قائمة المصادر

والمراجع

أوّلا– المصادر العليا.

القرءان الكريم برواية ورش عن نافع

ثانيا– المصادر

1. ابن أبي الزرع علي الفاسي (741هـ/ 1340م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،** تر:كارل يوحنّا ترونبرغ، دار الطباعة المدرسية، (د، ط)، أوينسال، 1843م.
2. ابن الأثير أبو الحسن بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1233م): **الكامل في التاريخ،** تح: محمد يوسف الرقّاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ/ 1987م، مج 6، 8، 9.
3. ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف (ت ما بين 807 و810هـ/ 1404 و1407م): **بيوتات فاس الكبرى،** (د، ت)، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1972م
4. ابن الخطيب لسان الدين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي (ت 776هـ/ 1374م): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام،** تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 142هـ/2003م، ج2.
5. _____ **الإحاطة في أخبار غرناطة،** (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ، ج4.
6. _____ **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال،** تح: أحمد مختار العبادي، محمّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، (د، ط)، الدار البيضاء، 1964م.

7. ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحَنَبَلي الدمشقي (ت 1089هـ/ 1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير، ط1، بيروت، 1410هـ-1989م.

8. ابن القطّان المراكشي أبي محمّد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي (ت 628هـ/ 1230م): **نظم الجمّان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990م.

9. ابن المنظور الإفريقي المصري أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (711هـ/ 1311م): **لسان العرب**، (د، ت)، دار صادر، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط).

10. ابن الوردي المعري الكندي عمر بن مظفر بن عمر بن محمّد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين (ت 749هـ/ 1348م): **تاريخ ابن الوردي**، (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ- 1996م، ج1.

11. ابن تومرت محمّد (ت 524هـ/ 1130م): **أعز مايطلب**، تح: عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، (د، ط)، المغرب، 1997م.

12. _____ **موطأ الإمام المهدي**، (د، ت)، مطبعة فونتانة الشرفية، (د، ط)، الجزائر، 1323هـ- 1905م.

13. ابن حوقل البغدادي الموصلّي، أبو القاسم محمّد (ت 367هـ/ 966م): **صورة الأرض**،

14. ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/ 1406م): **ديوان المبتدأ و الخبر بتاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: سهيل زكار، خليل شحاذة، دار الفكر للطباعة، (د،ط)، بيروت، 1421هـ/2000م، ج4،6.

15. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، (د،ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ج2، 3، 5.

16. ابن قنفد القسنطيني أبو العباس أحمد حسين بن علي بن الخطيب (810هـ/ 1407م): **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح: محمد الشاذلي النيقر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، (د، ب،ط)، 1968م.

17. أبو بكر بن محمّد بن محمّد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (ت520هـ/ 1126م): **سراج الملوك**، (د، ت)، اوائل المطبوعات العربية، (د، ط)، مصر، 1289هـ/ 1872م.

18. أبو جعفر الضبي أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1202م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، (د، ت)، دار الكتاب العربي، (د، ط)، القاهرة، 1997م.

19. أبو زيد الدباغ عبد الرحمان بن محمّد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي (ت 669هـ/ 1270م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1426هـ، ج3.

20. أبو محمّد الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الهجراني الحضرمي الشافعية (ت 947هـ/ 1540م): **قلادة النحر في وفيات الأعيان الدهر**، تح: بوجمعة سكري، خالد زاوري، دار المنهاج، ط1، جدة، 1428هـ/2008م، ج4.

21. أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ/ 874م): **مختصر صحيح مسلم**، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتاب العلمية، (د، ط)، بيروت، 1971م.

22. أبي الفدا عماد الدين إسماعيل محمّد بن عمر (732هـ/ 1330م): **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، (د، ت، ط)، ج2.

23. ـــــــــــــ **تقويم البلدان**، تح: رينود البارون، ماك كوكيين ديكلان، دار صادر، (د،ط)، بيروت، 1820م.

24. الإدريسي محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس الحسن الطالبي الشريف (ت 560هـ/ 1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، (د، ت)، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1409م، ج1، 2.

25. الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الفارسي المعروف بالكرخي (ت 346هـ/ 957م): **المسالك والممالك**، (د، ت)، دار صادر، (د، ط)، بيروت، 2004م.

26. الأنطاكي يحي بن سعيد بن يحي (ت 458هـ/ 1065م): **تاريخ الأنطاكي المعروف بالصلة تاريخ أوتيخاء**، تح: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، (د، ط)، طرابلس، لبنان، 1990م.

27. بسط ابن جوزي شمس الدين أبو المظفر يوسف قزأوغلي بن عبد الله المعروف (ت 654هـ/ 1256م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تح: عمار يحياوي، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 1434هـ/ 2013م، ج20.

28. البغدادي أبي المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمّد (ت 469هـ/ 1037م): **الفرق بين الفرق و بيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها**، تح: محمد عثمان الخنشي، مكتبة ابن سينا، (د،ط)، القاهرة، (د، ت، ط).

29. البكري الأندلسي أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (487هـ/ 1094م): **المسالك والممالك**، (د، ت)، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، 1992م، ج1، 2.

30. _____ **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، (د، ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ت، ط).

31. بن غليون الطرابلسي أبي عبد الله محمد بن خليل: **تاريخ طرابلس الغرب المسمى التّذكار فيمن ملك طرابلس وماكان بها من الأخبار**، تص: الظاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، المطبعة السلفية، (د،ط)، القاهرة، 1349هـ.

32. البيذق أبي بكر بن علي الصنهاجي: **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار منصور للطباعة و النشر، (د، ط)، الرباط، 1971م.

33. _____ **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1971م.

34. الحضيكي محمّد بن أحمد (ت 1189هـ/ 1775م): **طبقات الحضيكي**، تح: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1427هـ/ 2006م.

35. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ/ 1228م): **معجم البلدان**، (د، ت)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج1، 2، 3، 4، 5.

36. الحميري محمّد بن عبد المنعم (ت 727هـ/ 1326م): **الروض المعطار في أخبار الاقطار**، تح: احسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984م.

37. الحنبلي صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي (ت 739هـ/ 1338م): **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، (د، ت)، دار الجيل، (د، ط)، بيروت، 1412هـ.

38. الداوداري أبي بكر بن محمّد بن أبيك: **كنز الدّرر و جامع الغرر الدّرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة طيبة للطباعة والترجمة والنشر، (د،ط)، القاهرة، 1380هـ/1961م، ج6.

39. الدّرجيني ابن العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670هـ/ 1270م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، (د،ط)، (د،م،ط)، البليدة، 1394هـ/1974م.

40. الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/ 1347م): **سير أعلام النبلاء**، تح: مجموعة محققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (د، ب، ط)، 1405هـ/ 1985م، ج15.

41. _____ **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت، ن)، ج1.

42. _____ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2003م، ج10.

43. الزركشي أبي عبد الله محمّد بن ابراهيم (ت 894هـ/ 1488م): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966م.

44. سعيد المغربي أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ/ 1286م): الجغرافيا، (د، ت)، (د، د، ن)، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط).

45. السلّاوي أحمد بن خالد النّاصري (1315هـ/1897م): **الاستقصاء في أخبار دول المغرب**، (د، د، ط)، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ج1، ج2.

46. شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ/ 1272م): **الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2، القاهرة، 1384هـ/ 1964م، ج 8.

47. الصّفدي صلاح الدين بن أبيك (746هـ/ 1344م): **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرنؤوط، تزكي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م.

48. عماد الدين الدّاعي إدريس (ت 872هـ/ 1466م): تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب قسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح: محمّد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985م.

49. عياض بن موسى المحصّبي القاضي أبي الفضل: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرف أعلام مذهب مالك**، تص: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ/1998م، ج2.

50. الغزالي أبو حامد (ت 505هـ/ 1110م): **فضائح الباطنية**، تح: عبد الرحمان بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، (د،ط)، الكويت، (د، ت،ط).

51. القلقشندي أبي العباس أحمد (ت 821هـ/ 1418م): **الصبح الأعشى**، (د، ت)، دار الكتب الخديوية، (د، ط)، القاهرة، 1333هـ- 1915م.

52. _____ **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ط2، الكويت، 1985م، ج2.

53. القيرواني ابن أبي الدينار أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت 1110هـ/ 1699م): **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، (د، ت)، مطبعة الدولة التونسية، ط1، حاضرة المحمية، 1286م.

54. المجهول الأندلسي: **الحلل الموشية في ذكر أخبار مراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1399هـ/ 1979م.

55. مراكشي (ت ق6هـ/ 12م): **الاستبصار في عجائب الأمصار** من 6هـ-12م، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، (د، ط)، الدار البيضاء، 1985م.

56. المراكشي ابن عذاري (ت 703هـ/ 1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983م، ج1، 4.

57. مقديش محمود (ت 1228هـ/ 1813م): **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م.

58.المقريزي تقيّ الدين أبي العباس أحمد بن علي(845هـ/ 1440م): **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: جمال الدين الشيال، مطابع الأهرام التجارية، ط2، القاهرة، 1416هـ/1996م، ج1.

59. ـــــــــــــ **المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار**، (د، ت)، دار صادر، طبعة جديدة، بيروت، (د، ت،ط)، ج2.

60. المكناسي أحمد ابن القاضي (ت 1025هـ/ 1616م): **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، (د، ت)، دار المنظور للطباعة والوراقة، (د، ط)، الرباط، 1973م.

61. مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تح:عبد القادر بوباية، دار أبي الرقاق، ط1، الرباط، 2005م.

62. المؤيد في الدين: **ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة**، تح: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، ط1، مصر، 1949م.

63. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد (ت 1315هـ/ 1897م): **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى دولتا المرابطين والموحدين**، تح: جعفر الناصرى، محمّد الناصرى، دار الكتاب، (د، ط)، دار البيضاء، 1954، ج2.

64. النعمان القاضي (ت 363هـ/ 972م): **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ط2، تونس، 1986م.

65. النّويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1032م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: عبد الوهاب الترحيني، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ج24.

66. اليعقوبي أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ/ 904م): **البلدان**، (د، ت)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ.

ثالثا– المراجع

1. أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي السلوي أبو عباس أحمد بن محمد بن محمّد: **موسوعة التراجم المغربية**، (د، د،ن)، (د، ط)، (د، م، ن)، (د، ت، ط).

2. أسكان الحسين: **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي518-668هـ/1125-1270م**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، (د، ط)، الرباط، 2010م.

3. إسماعيل محمود: **الفرق الشيعية بين التفكير السياسي والنفي الديني**، سينا للنشر، ط1، القاهرة، 1995م.

4. الأعظمي محمّد الحسن: **عبقرية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ الفاطمي**، دار مكتبة الحياة، (د،ط)، (د، ت، ط)، (د،م، ط).

5. بكار عبد الكريم: **المشروع الحضاري نحو فهم جديد للواقع**، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، ط1، مصر، 1431هـ/2010م.

6. بكار عبد الكريم: **المشروع الحضاري نحو فهم جيد للواقع**، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، ط1، مصر، 1431هـ/2010م.

7. بلهواري فاطمة: **الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي**، دار المسك للطباعة والنشر، (د، ط)، تلمسان، 2011م

8. بن نبي مالك: **ميلاد مجتمع مشكلات الحضارة**، بن مرابط للإصدار، (د، ط)، (د، م، ن).

9. بوتشيش إبراهيم القادري: **تاريخ الغرب الإسلامي في بعض قضايا المجتمع والحضارة**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1994م.

10. _____ **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1993م.

11. بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجاملة، (د، ط)، الجزائر، 2007م، ج1.

12. بولطيف لخضر: **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي (510- 668هـ/1116-1269م)**، **المعهد العالمي للفكر الإسلامي**، ط1، الو، م، أ، 1429هـ/2009م.

13. بيضون إبراهيم: **الفاطميون قراءة مختلفة في تاريخ الملتبسي**، دار المؤرخ العربي، ط1، بيروت، 1424هـ/ 2012م.

14. البيلي محمد بركات: **التشيع في بلاد المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس هجري**، دار النهضة العربية، (د،ط)، القاهرة، 1993م.

15. التازي عبد الهادي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم (عهد المرابطين)**، الهيئة لمكتبة الإسكندير، (د، ط)، المغرب، 1407هـ/ 1987م، مج 5.

16.تامر عارف: **تاريخ الإسماعيلية الدعوة والعقيدة**، دار رياض الريّس، ط1، لندن، 1991م.

17. الجابري محمّد عابد: **نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي**، المركز الثقافي العربي، ط6، بيروت، 1993م.

18. جلاب حسن: **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، المطبعة والوراقة الوطنية، ط3، مراكش، 1995م.

19.جمال الدين عبد الله: **الدولة الفاطمية قيامها في بلاد المغرب وانتقالها إلى مصر في نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصّة بالجيش**، دار الثقافة، (د، ط)، القاهرة، 1411هـ/ 1991م.

20. الجمل إبراهيم محمّد حسن: **الإمام عبد الله بن ياسين، الفقيه، المفكّر، الداعية، القائد، المجاهد000– 451هـ**، دار الإصلاح، (د، ط)، السعودية، (د، ت، ط).

21. الجنحاني الحبيب: **القيروان عبر العصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي**، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1988م.

22. الحاجري محمد طه: **مرحلة التشيع بالمغرب العربي وأثرها في الحياة الأدبية**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

23. حركات إبراهيم: **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، (د، ط)، الدار البيضاء، 1984م، ج1.

24.حسن إبراهيم حسن، شرف طه أحمد: **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس دولة الفاطميين في بلاد المغرب**، مكتبة النهضة المصرية، (د، ط)، مصر، 1947م

25. حسين طاهر راغب: **التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر هجري**، دار النّصر للتوزيع والنشر، ط3، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

26. الخربوطلي علي حسن: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، (د،د،ط)، (د،ط)، (د،م،ن)، 1972م.

27. خلف الله ابتسام مرعى: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي 564-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف، (د، ط)، القاهرة، 1405هـ-1985م.

28. خليفة حامد محمّد: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقد الأندلس من الصليبيين**، دار القلم، ط1، دمشق، 1424هـ/2003م.

29. خليل عماد الدين: **حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة النور، ط1، مصر، 1405هـ/1985م.

30. الدشراوي فرحات: **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296- 365هـ/ 909- 975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، تر: حمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م.

31. دندش عصمت عبد اللطيف: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/ 1038- 1121م**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

32. _____ **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر طوائف الثاني 510- 546هـ/ 1116- 1151م**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1408هـ-1988م.

33. رستم سعد: **الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة**، التاريخ، العقيدة، التوزع الجغرافي، الأوائل للنشر والتوزيع، ط3، دمشق، 2005م.

34. الزركلي خير الدين: **قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، (د، ط)، بيروت، 2002، ج1، 6.

35. ساعد خميسي وآخرون: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007م.

36. شبانة محمّد كمال: **الدويلات الإسلامية في المغرب**، دار العلم العربي، ط1، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.

37. شلبي رؤوف: **الدعوة الإسلامية في عهدها المكي منهاجها وغايتها**، دار القلم، ط3، (د، م، ط)، (د، ت، ط).

38. الشيال جمال الدين: **أبو بكر الطرطوشي العالم الزاهد الثائر**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د،ط)، (د، ب، ط).

39. الصلابي علي محمد: **دولة المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي**، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1430هـ-2009م.

40. طالبي محمّد: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184- 296هـ/ 800- 909م**، تع: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1415هـ/1995م.

41. طقوش محمد سهيل: **تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر وبلاد الشام**، دار النفائس، ط2، بيروت،1428هـ/ 2008م.

42. العبادي أحمد مختار: **تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة،(د، ط)، اسكندرية، (د، ت، ط).

43. العبادي أحمد مختار: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، (د، ط)، بيروت، (د، ت، ط)، ص 225.

44. العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 200م، ج2.

45. العزاوي عبد الرحمان حسين: **المغرب العربي في العصر العباسي**، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1436هـ-2011م.

46. العساف أحمد بن عبد المحسن: **مهارات القيادة وصفات القائد**، (د، م، ن)، (د،ط)، (د، ب، ط)، (د، ت، ط).

47. العقاد عباس محمود: **العبقريات الإسلامية**، دار الكتاب اللبناني، (د،ط)، بيروت، (د، ت، ط)، مج2.

48. علام عبد الله علي: **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، سحب الطباعة الشعبية للجيش، (د، ط)، الجزائر، 2007م.

49. العموري الطاهر: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، تونس، 1988م.

50. عنان محمّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس (عصر دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1417هـ/1997م،ج2، 3.

51. عودات أحمد وآخرون: **تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**، دار الأمل والنشر والتوزيع، (د،ط)، أربد، 1410هـ، 1990م.

52. العيساوي أحمد: **الدعوة والدعاة**، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، 2012م.

53. غلاب عبد الكريم: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1426هـ/ 2005م، ج1.

54. القرضاوي يوسف: **ثقافة الداعية**، مكتبة وهبة، ط10، القاهرة، 1416هـ/ 1996م.

55. القشاط محمّد سعيد: **التوارق عرب صحراء الكبرى**، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط2، القاهرة، 1989م.

56. القصير سيف الدين: **ابن حوشب وحركة الفاطميين في اليمن**، دار الينابيع، (د، ط)، دمشق، 1993م.

57. لقبال موسى: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية مند تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري 11 ميلادي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (د، ط)، الجزائر، (د، ت، ط).

58. _____ **ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية و توحيد)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د،ط)، الجزائر، 1990م

59. مارشال بيتر: **الدبلوماسية الفاعلة**، تر: السيد أمين شلبي، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، مصر، 2005م.

60. مجاني بوبة: **دراسات اسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري، (د، ط)، قسنطينة، 2002، 2003م.

61. محمّد الحجوي الثعالبي الجعفري محمّد بن الحسن بن العربيّ: **الفكر السياسي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1416هـ/ 1995م، ج2.

62. محمّد النبرواي نجلاء ساسي: **الحج و الجهاد بالمغرب والأندلس مند بداية عصر المرابطين وحتى سقوط غرناطة (440-898هـ/1069- 1492م)**، مؤسسة شباب الجامعة، (د،ط)، الإسكندرية،2015م.

63. محمّد زنبير: **المغرب في العصر الوسيط الدولة- المدينة- الاقتصاد**، تنيسق: محمّد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط، 1420هـ/ 1999م.

64.محمود حسن أحمد: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، (د، ط)، القاهرة، (د، ت، ط).

65. مؤنس حسين : **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، ط5، القاهرة، 1421هـ/2000م.

66. النّجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفي سنة 524هـ-1129م، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب**، (د، د، ن)، ط1، مصر، 1403هـ- 1983م.

67. _____ **تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت الحركة الموحدية بالمغرب أوائل القرن السادس الهجري**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، هيرندن، فيرجينيا، 1415هـ/1995م.

68. نصر الله حرون عباس: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1405هـ/1985م.

69. الوزان الفاسي الحسن بن محمّد: **وصف إفريقيا**، تر: محمد الحجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983م.

رابعا– المراجع المعرّبة

1. بروفنسال ليفي: **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، القاهرة، 1965م.

2. بل ألفرد: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، (د، ت، ط).

3. روجي لي تورنو: **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر**، تر: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، (د، ط)، ليبيا– تونس، 1982م.

4. مارسيه جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، (د،ط)، الإسكندرية، 2905هـ – 1991م.

5. هازارور هاري. و: **أطلس التاريخ الإسلامي**، تر: إبراهيم زكي خورشيد، مكتبة النهضة الأوروبية، (د، ط)، القاهرة، (د، ت، ط).

خامسا– المقالات والملتقيات

1. بنشريفة محمّد: **حول كتابة سيرة محررة لعبد الله بن ياسين**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

2. بوتشيش إبراهيم القادري: **رباط عبد الله بن ياسين الإستراتيجية وتجديد النسق**، ضمن ندوة ورباطات وزوايا في المغرب، تنسيق: أحمد الوارث، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء.

3. الجرارى عباس: **دولة المرابطين**، مجلة دراسات إفريقية للبحوث نصف سنوية، كلية الأدب جامعة محمد الخامس، العدد2، الرباط، شعبان 1406هـ/ أفريل 1986م.

4. جراري عباس: **الموحدون ثورة سياسية ومذهبية**، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد1، الرباط- المغرب، ذو القعدة 1394هـ/ نوفمبر 1974م.

5. حركات إبراهيم: **تقديم الندوة**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

6. حسن محمود شفاء محمد: **محمد ابن تومرت ودوره في إغناء الحياة العلمية في بلاد المغرب**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، جامعة بغداد، العدد5، بغداد، (د، ت، إ).

7. الحمروني أحمد: **الشيعة في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الخامس هجري**، مجلة الحياة الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية، العددان 22، 23، تونس، أكتوبر 1982م

8. الخديمي علال: **جهاد عبد الله بن ياسين والحركة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

9. دندش عصمت عبد اللطيف: **حول رباط عبد الله بن ياسين**، مجلة المناهل، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، العدد 11، الرباط، ربيع الأول 1398هـ/مارس 1978م.

10. رزمامة عبد القادر: **البيدق والمهدي بن تومرت**، مجلة المناهل، وزارة الدولة النكلفة بالشؤون الثقافية، العدد16، الرباط- المغرب، محرم 1400/دجنبر 1979م.

11. الزبيري طارق عبد الحافظ: **قراءة فكرية سياسية في التأويل الباطني عند الاسماعيلية**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بغداد، (د، ع)، العراق، 2019/11/28م.

12. زنبير محمد: **الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي ابن تومرت**، مجلة مناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد الرابع والعشرون، المغرب، جويلية1982م.

13. سليمان نصر الدين النبي: **مبادئ وتعاليم حركة محمد بن تومرت الإصلاحية في بلاد المغرب (485–524هـ)**، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد27، (ب، م، ص)، جوان 2002م/ ربيع الثاني 1423هـ.

14. شكري أحمد: **عبد الله بن ياسين مؤسس الدولة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

15. صالح أحمد صالح: **المهدوية ودورها في قيام دولة الموحدين**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد 3، العراق، 2011/12/29م.

16. عاشق مولود: **المجال الجغرافي والصراع البرغواطيي الياسيني**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

17. عبادة عبد اللطيف: **ابن تومرت علاقته بالغزالي وموقف ابن تيمية منه**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد السادس، ليبيا، 1398هـ_1989م.

18. العسري محمّد عبد الواحد، بن عزوز فريد: **مرشدة المهدي بن تومرت الأعجمية بين المندجنين بالأندلس**، تحولات الفكر الإسلامي، أعمال الندوة الدولية المنعقدة بتطوان، يومي 18- 19 صفر 1436هـ- 11- 12 ديجنبر 2014م، تطوان، المغرب، 1438هـ/ 2017م.

19. العناوي محمّد: **معالم الزعامة والوحدة في حركة عبد الله بن ياسين**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

20. لخديمي علال: **جهاد عبد الله ابن ياسين والحركة المرابطية**، ضمن ندوة عبد الله بن ياسين، تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

21. المستعين عبد الباسط: **دور الأمير يحي بن إبراهيم والفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي في تأسيس دولة المرابطين**، ، مجلة نور الهدى، (د، ج، إ)، العدد 15، المغرب، 2010م.

22. _____ **السلطة في تصور الفقهاء وسلوكهم في تاريخ المغرب نموذج عبد الله بن ياسين إمام دعوة المرابطين**، مجلة منار الهدى، (د، ج، إ)، العدد 15، المغرب، 2015.

23. المغراوي محمّد: **ملاحظات منهجية حول أصول الحركة المرابطية، ندوة عبد الله بن ياسين،** تنسيق: إبراهيم حركات، البوكيلي للطباعة والنشر، ط1، قنطيرة، 1998م.

سادسا– الرسائل الجامعية

1. الإدريسي عبد الهادي: **الإمامة عند ابن تومرت دراسة مقارنة مع الإمامة الإثني عشرية،** مذكرة شهادة ماجيستر، تاريخ وسيط، أبو عمرانة الشيخ، جامعة الجزائر، 1986-1987م.

2. الحسن الصعب محمّد بن أبو بكر: **الواقع الثقافي الإسلامي للمغرب العربي أثناء دولة المرابطين،** مذكرة ماجيستير تخصص ثقافة إسلامية، محمّد هلال صادق هلال، جامعة أم القرى، السعودية، (د، ت).

3. طهراوي محمّد: **الحركة الدينية عند المرابطين والموحدين دراسة مقارنة،** مذكرة ماجيستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، العبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016/2015م.

4. قاسمي أمينة: **المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي دراسة في المرتكزات الفكرية والأبعاد السياسية،** مذكرة شهادة ماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، محمد دلباز، 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م.

5. قايدي صابر: **إحراق الكتب في الغرب الإسلامي أبي حامد الغزالي وإبن رشد نمودجا ((ق6هـ/ 12م)،** مذكرة شهادة ماستر، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، المسيلة، 1439_1440/2018-2019م.

ملخّص الدّراسة

ملخّص الدّراسة

ارتبط قيام كثير من الدول في بلاد المغرب الإسلامي بأفكار، ودعوات، وعصبيات. وكان وراء هذه الأفكار والعصبيات شخصيات دعوية حملت فكرة التأسيس إصلاحا، أو تغييرا، أو تثبيتا لمبدإ. وعملت على تحقيقها بكلّ ما أوتيت من مَقدِرات وكفاءات، واستغلّت كلّ ماّ أتيح لها من مَكامِن الجغرافيا وسَنَحات التاريخ، ومنها الفكرة الدينية والعصبية القبلية أو العرقية.

وكان أبو عبد الله الشيعي، وعبد الله بن ياسين، ومحمّد بن تومرت أهمّ من مثّل الشخصية الدعوية التي أسّست دولا في بلاد المغرب، وارتبطت هذه الدول بهم، إذ إليهم تنسب من حيث بداياتها، ومن حيث توجّهاتها.

وجاء بحثنا ليدرس هذه الشخصية وارتباط الدول بها، من حيث المنشإ والتكوين، وإبراز دورها التاريخي في ذلك، مع بيان القدرات الذاتية التي فعّلتها تاريخيا في احتواء الظروف وتسخير الأسباب لإنجاح الدعوة حتّى بلغت المراد في ذلك.

Résumé de l’étude

La montée en puissance de nombreux pays du Maghreb islamique était associée à des idées, des appels et des fanatimes. Et derrière ces idées et ces fanatismes se trouvaient des personnalités de la propagande qui portaient l'idée de fonder une réforme, un changement ou une confirmation de principe. Et il a travaillé pour y parvenir avec toutes ses capacités et compétences, et a profité de toute la géographie et des lieux historiques disponibles, y compris l'idée religieuse et le tribalisme ou tribalisme ethnique.

Abu Abdullah al-Shi’i, Abdullah bin Yassin et Muhammad bin Tumart étaient les représentants les plus importants de la figure missionnaire qui a fondé les États au Maghreb, et ces pays leur étaient associés, car ils leur étaient attribués en termes de leurs débuts et de leurs orientations.

Nos recherches sont venues étudier cette personnalité et le lien de l’État avec elle, en termes d’origine et de composition, en soulignant son rôle historique en cela, tout en expliquant les capacités personnelles qu’il a historiquement activées pour contenir les circonstances et exploiter les raisons du succès de l’appel jusqu’à ce qu’il atteigne son objectif.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنـوان	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
المقدمة	1_ 11
الفصل الأوّل: صاحب البَذرِ أبي عبد الله الشيعي (ت 298هـ/ 911م)	
المبحث الأوّل: التعريف يأبي عبد الله الشيعي	13_ 18
أوّلا: بداياته	13- 14
ثانيا: مرحلة تكوينه	15_ 18
المبحث الثاني: شخصية أبي عبد الله الشيعي الدعوية	18_ 26
أوّلا: رجل سياسي	18_ 24
ثانيا: رجل قيادي	24_ 26
المبحث الثالث: الأساس العملي عند الشيعي	26_ 42
أوّلا: أبو عبد الله الشيعي في المغرب	26_ 33
أ/ أبو عبد الله في استضافة إيكجان	28_ 31
ب/ أبو عبد الله بتازورت تحت حماية بني غشمان	31_ 33
ثانيا: صراعه مع الأغالبة	33_ 37
ثالثا: التمهيد لدولة الفاطميين وقيامها	37_ 42
الفقيـه عبد الله بن ياسين (ت 451هـ/ 1059م)	

المبحث الأول: التعريف يعبد الله بن ياسين	44_ 51
أوّلا: بداياته	44_ 47
ثانيا: امتثال بن ياسين للدعوة ودور الأمير الجدالي فيها	47_ 51
المبحث الثاني: شخصية بن ياسين الدعوية	51_ 55
أوّلا: رجل دين	51_ 53
ثانيا: رجل إصلاح وتغيير	53_ 55
المبحث الثالث: الأساس العملي عند عبد الله بن ياسين	55_ 75
أوّلا: دراسة لرباط بن ياسين	55_ 63
أ/ تعريف الرباط	58_ 59
لغة	58
اصطلاحا	58_ 59
ب/ الرباط عند بن ياسين	59_ 63
ثانيا: التوحيد ثمّ التحرير	63_ 71
أ/ توحيد القبائل	63_ 67
ب/ تحرير القبائل	67_ 71
ثالثا: الصراع مع برغواطة ووفاة بن ياسين	71_ 75
مهـدي الموحدين محمّد ابن تومرت (ت 524هـ/ 1130م)	
المبحث الأوّل: التعريف بابن تومرت	77_ 85
أوّلا: مولده ونسبه	77_ 80
ثانيا: مرحلة الدراسة والتفقّه	80_ 85
المبحث الثاني: شخصية ابن تومرت الدعوية	85_ 93

أوّلا: رجل دين وإصلاح	87 _85
ثانيا: رجل علم	90 _87
ثالثا: رجل سياسي	93 _90
المبحث الثالث: الأساس العملي عند ابن تومرت	101 _93
أوّلا: مرحلة ما قبل الدعوة	95 _93
ثانيا: إعلان المهدوية والتمهيد للدولة الموحدين	101 _96
المبحث الرابع: المقارنة بين النّماذج المختارة	106 _101
الخـاتمة	108 _107
المـلاحق	116 _110
قـائمة المصادر والمراجع	135 _118
ملخّص الدراسـة	136
فهرس المحتويـات	141 _139